Government of Jammu & Kashmir
Higher Education Department

Chief Patron
Dr. Asgar Hassan Samoon

Vice Chief Patron
Prof. Yaseen Ahmad Shah

مجلّة التّلميذ

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

Monthly Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

Editor in Chief
Prof. M.Muzaffar Husain

سجّلوا انتصاركم بمداد الفخر

Editor
Dr.Meraj ud Din Para Nadvi

Vol-02, Issue 02, February 2019 ISSN 2394 – 6628 مجلة التلميذ

وزارة التعليم العالي جامو و كشمير

مجلة التلميذ

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر عن وزارة التعليم العالي بجامو و كشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتور أصغر حسن ساموں (IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسور يسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسورمحمد مظفرحسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

الدكتورة تسمية مجي

الدكتور عناية الله واني الندوي

الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي

الدكتورة نورأفشاں

الدكتور محمد ريحان الندوي

الهيئة الاستشارية / Advisory Board

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري — رئيس قسم العربيةسابقا بجامعة عليكرة الإسلامية

البروفيسور كفيل أحمد القاسمي — عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية

البروفيسور صلاح الدين تاك — رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر

البروفيسور عبد الحميد شيخ — المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر كشمير

البروفيسور محمد سميع أختر — رئيس قسم اللغةالعربية بجامعة عليكرة الإسلامية

البروفيسور محمد فيضان بك — الأستاذ بقسم اللغةالعربيةبجامعةعليكرة الإسلامية

البروفيسور مسعود أنور علوي — رئيس قسم العربيةسابقا بجامعة عليكرة الإسلامية

البروفيسورمنظورأحمد خان — رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر

الدكتور ريحان أختر القاسمي — الأستاذ المساعد بقسم علم *اللاهوت* السني عليكرة

البروفيسور عبدالرحمن واني — رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر

البروفيسور شاد حسين — رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير

البروفيسورمحمد أيوب تاج الدين الندوي — رئيس قسم اللغة العربيةسابقا بالجامعة الملية الإسلامية

البروفيسور السيد جهانكير — جامعة اللغة الانجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد

البروفيسور حبيب الله خان — رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية

الدكتور عبيد الرحمن طيب — الأستاذ المشارك بجامعة جواهر لال نهرو

البروفيسور عبد الرحمن وار — رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر،كشمير

البروفيسور محمد يوسف خان — الأستاذ بقسم العربية بجامعة عليكرة الإسلامية

الدكتور طارق أحمد آهنكر — الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير

الدكتورة تسنيم كوثر — الأستاذة المشاركة بقسم العربية بجامعةعليكرةالإسلامية

البروفيسور عبد الماجد القاضي — الأستاذ بقسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية

الأستاذ طلال سعد الرميضي الكويتي — الإشراف العام لمجلة البيان الصادرةعن رابطة الأدباء الكويتيين

د.زكريا السرتي المغربي — المديرالعام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب

د.قاضي عبدالرشيد الندوي — الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر

الدكتور شمس كمال أنجم — رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه

الدكتور السيّد عبد المجيد الأندرابي — الجامعة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا كشمير

د. تيسير محمد أحمد الزيادات — المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية

صالح محمد كبير — مدير الأمور لمجلة التلميذ في نيجيريا

الدكتور رضوان بلخيري — رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث و محاضر بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة العربي التبسي – تبسة

د. معراج أحمد معراج الندوي — الأستاذ المساعد بالجامعة العالية،كولكتا- الهند

الآراء المنشورة في مجلة "التلميذ" تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

محتويات العدد

الأمل أساس الحياة	كلمة التلميذ	04
مفلح العدوان و أعماله الأدبية	بلال نبي شاه	08
تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال	إقبال دانش	14
الكفايات اللازمة لمعلم اللغة العربية وثقافتها....	الباحثة عدلاني هجيرة	22
ارتباط اللغة العربية بغيرها من اللغات	د. غسان عبد المجيد	30
تطور وترويج علم الدلالة و المعجمية العربية في الهند	محمد عيسى	38
الدكتور ظفر الإسلام خان: حياته وأعماله	عبد الحكيم	55
فن السيرة الذاتية في الأدب العربي	بلال أحمد بيغ	64
حكيمات العرب قبل الإسلام	الأستاذ عبدالسلام عبد المجيد المحتسب	77
مرثية المرأة في ديوان الوزير جنيد؛ دراسة وصفية	د. مرتضى بن عبد السلام الحقيقي/د. علي	94
الهند بين الماضي والحال	أظهر رضا	104

AL-TILMEEZ

Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J & K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمل أساس الحياة

كلمة التلميذ

الحمد لله الذي جعل العلم ضياءً والقرآن نورا ، و رفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة ، وكان ذلك في الكتاب مسطورا ، وجعل العلماء ورثة الأنبياء ، وكفى بربك هاديا ونصيرا . نحمده تعالى حمدا كثيرا ، ونشكره عز وجل وهو القائل : "إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا" .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المرشد الحكيم ، والمعلم العظيم، بشر به المسيح والكليم ، واستجيبت به دعوة إبراهيم : "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" .اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة ومنة ، بخير كتاب وأفضل سنة ، والقائل : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه القائمين بالحق والدعاة إليه ، وعلى التابعين لهم بإحسان في التعلم والتعليم .

إن غيم اليأس والقنوط قد تغيم على عقول الناشئين وفي أذهان المسلمين بسبب الظروف الراهنة القاسية في العالم الإسلامي خاصة وفي

مختلف البلدان غير الإسلامية عامة، حتى عمت الفوضوية واللاقونونية في الإدارات والوزارات والحكومات، وراج القتل والنهب والتهديد رواجا للمسلمين والأقليات الأخرى وبلغ السيل الزبى في هذه الأيام الراهنة وكل صغير وكبير في قلق واضطراب ويأس. والأمل من الصفات الأساسية المطلوبة لأي شخص يريد النجاح في مضمار الحياة. فالتفاؤل يدفع إلى العمل ويحفز على المداومة والنشاط، ولكن بعد الظروف القاسية والأوضاع الفاسدة الإنسان يترك الحلم والأمل ويتسرب إلى قلبه اليأس والقنوط. وقال الشاعر في مثل هذا السياق:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

فلا تيأسوا يا إخواني وأخواتي لأن بعد الغيم الكثيف مطر ذا رحمة، وبعد الظلام الحالك صبح منير، وبعد العسر الشديد يسر وسهولة، وبعد المرض الهالك صحة وسلام، وبعد الجرح الحاد التئام وشفاء، وبعد الألم البالغ راحة وسكينة، وبعد الفشل الذريع نجاح باهر، وبعد الأوضاع الفاسدة تكون الأوضاع هادئة، معنى ذلك هناك يسر بعد عسر، وأمن وطمأنينة بعد الشدة والغلظة فقد صدق الرحمن في القرآن حينما قال: "إن مع العسر يسرا" لأجل ذلك علينا أن لا نيأس من روح الله ورحمته في هذه الشدائد والمحن "ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" بل نؤدي ما علينا من الواجبات تجاه صالح البلد والمجتمع آملين متطلعين الخير والصلاح ونحمي الوطن من الدمار والفساد

وسيعود نفعه قريبا إن شاء الله.

والأمل هو مفتاح الخير والسعادة، وهو حسن الظن بالله،والأمل هو ما يجمع بين التفاؤل والعمل، والأمل أن ترى الهدف البعيد وتبذل كل مجهوداتك لتحقيقه وألا تسمح للمصائب أن تدفعك إلى اليأس. والأمل من الصفات الحسنة المحمودة. والإنسان يعيش على الأمل، وقد قال الناس: إن الأمل يقوم عليه أساس الحياة، وقيل: الحياة أمل، إذا فقدت الأمل فقدت الحياة. ولولا الأمل لما حرث الفلاح أرضه، ولا التاجر فتح دكانه، ولا الأب كفل طفله، ولا الأستاذ ربى تلميذه، ولولا الأمل لما نجا يونس عليه السلام من بطن الحوت، ولولا الأمل لما دعا زكريا ربه بعد ما أصبح هرما مفندا، "رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين" ولولا الأمل لما فتح محمود الغزنوي السند والهند بعد ما انهزم سبع عشرة مرة على أيدي الجنود الهنود.

فالنملة تخرج من بيتها رجاء أن تأتي برزقها، والطير يطير من وكره متمنيا أن يأتي من قوت يومه، والتاجر يذهب من بيته آملا أن يرزقه الله من عنده، والجندي يشد أزره متطلعا أن يكون النصر حليفه. والطالب يخرج من بيته متفائلا أن يكون من نخبة الفائزين والناجحين وأن يكون كاتبا قديرا، وشاعرا ممتازا، وناقدا مقبولا، ومصنفا شهيرا، وعالما كبيرا، ويبني صرح حياته على الأمل والرجاء والتفاؤل.

وفي الأدب نزعتان مهمتان: أحدهما التفاؤل يعني الأمل، وثانيهما التشاؤم يعني اليأس، والأدباء المتفائلون ينظرون إلى هذا الكون متفائلين متطلعين. وأما أصحاب التشاؤم فهم ينظرون إليه متشائمين حائرين. فالأول حينما يرى النور يفرح ويسر ويستفيد من عطره وروحه ويفيد الآخرين من كتاباته ومقالاته العلمية والأدبية التفاؤلية وأما الآخر حينما يرى هذه الوردة فيتفكر متشائما حزينا ويعتقد كل الاعتقاد أنها ستذوب لاحقا وليس لها الحياة سوى بضع ساعات من الأيام. فمعنى ذلك أن أصحاب التفاؤل يرون الكون وما فيه فرحا ومرحا ومستفيدا وأما أصحاب التشاؤم فهم يرون الكون وما فيه حزينا وكئيبا وخاسرا ومتشائما.

وبناء على هذه النزعة الأدبية التفاؤلية تتولد في قلوبنا آمال وأحلام وطموحات وتطلعات. وتحقيق هذه الأحلام والآمال يتقاضى منا أن نبذل قصارى جهودنا لأن الآمال لا تتحقق إلا بالعمل والجد والمثابرة والاستقامة، ومن يعش على الأمل لا يجد المستحيل إلى قلبه سبيلا. ونأمل بل نؤمن بالله أن الوضع الحالي سيتغير وسيتحسن الأحوال إن شاء الله. وإن الساعي الحقيقي والطالب الصادق للعلم والفضل والمال والمنصب يبذل كل غال ونفيس لتحقيق أمنياته وتطلعاته ويبني صرح حياته على الأمل وحسن الظن بالله أن يتحقق آماله وأحلامه قريبا بإذن الله تعالى وصدق من قال:

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

مفلح العدوان وأعماله الأدبية

بلال نبي شاه
الباحث: جامعة دلهي
bilalnabishah99@gmail.com

المدخل:من المعلوم أن العصر الحديث هو عصر مهم فى حياتنا الأدبية ،هو عصر غني بالعلوم والمعارف. قد تطور فيه كثير من العلوم واستحدث عديد من الفنون وازدهر متنوع من المعارف كأنه هو إنفجار من العلوم والمعارف، فنبغ عدد كبير من العلماء والباحثين، وظهر أعلام الفن وأقطاب العلم الذينم أدوا دورا مهما في إثراء خزينة من العلم وقدموا إسهامات جليلة لإعداد تراث أدبي عظيم. ومن أهم هؤلاء الأدباء الأديب النابغ والقاص والروائي وكاتب مسرح وسيناريو وصحفي أردني، مفلح العدوان(مفلح فلاح عبد العدوان)، المولود في مدينة الزرقاء بالأردن عام،1966م. حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة الكيميائية من الجامعة الأردنية عام1990م، ثم انتقل إلى عاصمة عمّان ليبدأ تجربته الإبداعية وحياته العلمية. وهو رئيس وحدة الشؤون الثقافية في الديوان الملكي الهاشمي بالأردن، ورئيس إتحاد كتاب الإنترنيت العرب، والمنسق العام لشبكة القلم العربي، وعضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو مؤسس فرع منظمة القلم الدولية في عمان-الأردن، وعضو اللجنة الإدارية الأولى لفرع منظمة القلم الدوليّة في عمّان بالأردن، وعضو في الهيئة العربية للمسرح –الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، وعضو في المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ونائب رئيس "بيت الأنبات الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري"، وله العديد من المشاركات المسرحية في الأردن ودول عربية أخري كما له إسهامات في مجال الكتابة للتلفزيون والصحافة والأفلام الوثائقية.

يعتبر مفلح العدوان (مفلح فلاح عبد العدوان) أحد رواد الأدب العربي المعاصر حيث كتب ولا يزال في فنون عديدة وظل متمكنا به ومدافعا عنه بفنه وأدبه، واستطاع أن يبرز من خلالها الفكر الإسلامي في صورة فنية ممتعة، وفي أسلوب عذب جذاب،حيث إستخدم جميع عناصرها الفنية، إذ نرى فيه مهارة خاصة في توظيف الحوار واللغة العربية الفصحي في تطوير أحداثه وشخصياته.

يقول عبد الستار ناصر في كتابه "عن الأردن ومبدعيه" : وبرغم المسافة الزمنية والمسافة

الجغرافية والمسافة الإبداعية بين كاتب آخر، إلا أني أرى في مستقبل "مفلح العدوان "ما يجعلني أكرر ذلك القول ...وأقول: نحن بحاجة إلى كتابة جديدة، تناسب روح العمر الذي نعيش فيه ....،وقد فعلها مفلح العدوان بنسبة يحسد عليها[1].

من إصداراته المطبوعة : (الأعمال الأدبية):

توزع النشر عند مفلح العدوان بين القصة والمسرحية والرواية والبلدانيات، وكذلك له مقالات علمية نشرت في معظم الصحف الأردنية والعربية، صدر له في الرواية كتاب شهير بإسم "العتبات"،ونالت هذه الرواية صيتا عالميا بين العلماء والأدباء المعاصر ،ونشر له في القصة كتاب "الوحي" و "موت عزرائيل"و "نهر الأردن" و "الدواج" و "موت لا أعرف شعائره" و "شجرة فوق رأس"و"نحت آخر لتمثال المفكر"و "هب لي عينا ثالثة". كما كتب في المسرحية كتاب "ظلال القري" و"آدم وحيدا" و "عشيات حلم" و "بلا عنوان"و "سجون"و "تغريبة ابن سيرين" و "حارس النبوة". وكتب عن موسوعة القرية الأردنية كتاب "بوح القري"، وله في البلدانيات كتابين "عمان الذاكرة" و "معان وقرارها". ظهر له في الرحلة كتاب "سماء الفينيق".

نظرة في أهم ما كتب من الرواية و المسرحية :

- رواية "العتبات"، تقع الرواية في 158 صفحة، تنساب أحداثها عبر تسعة و ثلاثين فصلا،تتداخل فيها فضاءات السرد بين تلمس الواقعي، ومخيال الأسطوري، ليكون المعمار المعبر عن أزمنة الرواية و أمكنتها، ودروب التفاصيل فيها.

قالت د . مريم دمنوتي في مجلة الرافد الصادرة من الأردن عن الرواية"العتبات":

إن مفلح العدوان يجرب تقنية جديدة بمهارة ملحوظة في تشييد البنية السردية لروايته، تتلخص في الإستشهاد الجمالي لرسائل التواصل الإجتماعي، بنقلها من الحقل الرقمي إلي الورقي المعتاد .

- كتاب "نحت آخر لتمثال المفكر"هي قصة تحكي عن تمثال المفكر للنحات الفرنسي الشهير "رودان"،منذ سنين وهو في مكانه يشاهد الحافلات والبشر وأسراب الطيور ...كلهم يظنون أنهم

[1]-عن الأردن ومبدعيه / رقم الصفحة /152/الأردن.

هم الذين ينظرون إليه، وغريب أمره **"مفلح العدوان"** فقد إختار أن يتحرك صوب الأشياء الجامدة.

- كتاب **"تغريبة إبن سيرين"** من كتابة مسرحية أعطاها الأستاذ عنوان "حارس النبوة"، وهي تلامس التغيرات العربية، إذ يعمد إلى مقاربة السلطة والمجتمع، فيها مكان للحارس والسلطان والفنان والعراف، والسجين والحاكم، كل تلك النماذج تحضر في المسرحية وتتجاوز في مسألة النبوة المقبلة" إنها مسرحية الواقع الجديد وأسئلته، ومحاولة إجتراح بعض الأجوبة والإجتهاد فيها برؤية إبداعية مسرحية."
- كتاب **"معان وقرارها"** في البلدانيات: تأتي فكرة هذا الكتاب، لإلقاء الضوء على جوانب من القيمة المكانية والإنسانية التي تتمتع بها محافظة معان، والتي كانت على مر العصور قد تم ترجمتها عبر فاعليتها في الأحداث التاريخية من حيث هي محرك لها، وبرؤية إيجابية في صناعة التاريخ، وفي جوانب أخرى من ذاكرتها، تظهر معان، وهي تتفاعل مع الأحداث فيما يدور حولها من محيط لتأخذ مكانها كجزء مهم وحاضر في مدونة تاريخ المنطقة.
- كتاب **"الرحى"** في القصة القصيرة، فازت هذه القصة جائزة محمود تيمور للقصة على مستوي مصر و الوطن العربي من المجلس الأعلى للثقافة في مصر سنة 1995م.
- كتاب **"سماء الفينيق"** في الرحلة، يتخذ **مفلح العدوان** من "سماء الفينيق" قبة للحكاية، تطل على مكونات الوقت الفلسطيني من حياة و ذاكرة،السماء التي تحتضن أجنحة الفينيق جزء من رواية الأرض التي تصعد نحو علياء السرد بكل كبرياء وشموخ.

في رحلة **مفلح العدوان** إلى فلسطين قادما من المملكة الأردنية الهاشمية تطل المدن بعفوية خاصة للبوح ويصبح الوقت مسار سرد يستند إلى التاريخ و الحاضر ضمن يوميات يصوغها **مفلح العدوان** بأسلوب مميز وهو ينتقل بين الأمكنة والمدن.

مفلح العدوان، كاتب لا ينقصه الخيال، ولا يفتقر إلى الذاكرة، وقلبه عامر بالحبور والأهم أن قلمه معمر بلغة الوطن، وهذا ما يبدو واضحا في الكتاب :"سماء الفينيق" رحلته إلى فلسطين.

مشاركات مفلح العدوان في المسرح :

شارك مفلح العدوان في المسرح حيث عرض عديدا من المسرحيات و منها ما يلي:

- مسرحية "**ظلال القرى**" في الجامعة الأمريكية اللبنانية من خلال قسم المسرح في بيروت عام 1996م.
- مسرحية "**مونو دراما**" أو"**آدم لوحده**" أو "**آدم وحيدا**" في موسم وزارة الثقافة للمسرح في عام 1997م.
- مسرحية "**بلاعنوان**" في إفتتاح فعاليات القدس عاصمة للثقافة العربية في الأردن/عمان، عام 2009م.
- مسرحية "**حارس النبوة**" في مهرجان المسرح الأردني الدولين الدورة(20)،عام 2013م.
- مسرحية"**مونودراما**"،"**عشيات حلم**" في مهرجان الفجيرة الدولي للمونودراما، عام 2014م.
- مسرحية "**سجون**" في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي عام 2011م .

دور مفلح العدوان في المجال الصحفي :

- الكتابة في "**جريدة الرأي**" منذ عام 1990م في الصفحات الثقافية.
- كتابة وتصوير صفحة "**بوح القري**" في "جريدة الرأي" منذ عام 2005م. وهذه الصفحة تؤرخ للقرى الأردنية كجزء من مشروع موسوعة القرية الأردنية.
- زاوية "**نقش على صورة**" كل يوم أحد، في "جريدة الرأي" الأردنية منذ عام 2015م.
- رئيس تحرير نشرة فضاء المسرح يومية مهرجان المسرح الأردني الثاني عشر الدورة العربية الرابعة عام 2004م.
- عضو هيئة تحرير **نشرة الموسم**، يومية الموسم الثقافي الأردني الأول – نقابة القنانين الأردنيين – 2000م .
- عضو هيئة تحرير في **مجلة الفنون** الصادرة عن وزارة الثقافة في الأردن، منذ عام 2006م .
- عضو الهيئة العليا لمجلة **منبر الأمة الحر** / عمان- الأردن.

مشاركاته في التلفزيون والإذاعة وكتابة الأفلام الوثائقية:

- كاتب برنامج المنوعات "**نقوش الليل**" للقناة الأولى في التلفزيون الأردني في الفترة (1996-1998) ، وتمت كتابته بحلقات مختلفة للإذاعة الأردنية خلال رمضان عام 1999م .
- معد برنامج "**المقهى الثقافي**" للقناة الفضائية في التلفزيون الأردني .

- معد برنامج **"العمر كله"** للقناة الفضائية في التلفزيون الأردني.
- معد و مقدم برنامج **"المنتدي المرئي لفضائية"** راديو و تلفزيون العرب (ART) .
- معد برنامج **"نادي الكتاب لفضائية"** راديو وتلفزيون العرب (ART) .
- كاتب نص وسيناريو فيلم **"عمان"** ، فيلم تسجيلي وثائقي عن عمان، المكان والتاريخ والإنسان مدته نصف ساعة (لحساب أمانة عمان) من إخراج أحمد الفارس – عام 1997م .و تم عرضه في مهرجان أيام عمان المسرحية .
- كاتب نص وسيناريو فيلم **"المغطس"** الذي أنتجه مركز المغطس الإعلامي وأخرجه إياد الخزور.
- كاتب فيلم **"طيور الأزرق"** الذي أنتجه التلفزيون الأردني .
- كتابة برنامج **"بوح الأمكنة"** للإذاعة الأردنية خلال دورات عام – 2004م .
- الكتابة والإشراف على برنامج **"بوح البادية"** للتلفزيون الأردني ،2010-2009م .
- كتابة برنامج **"منمنمات أردنية"** للتلفزيون الأردني 2013م .
- كتابة برنامج **"بوح المكان"** للإذاعة الأردنية 2013م .
- إعداد وكتابة أكثر من 40 فيلم و ثائقي لمؤسسات رسمية وأهلية و لمشروعات مختلفة.

الجوائز الأدبية:

- جائزة محمود تيمور للقصة القصيرة من المجلس الأعلي للثقافة في مصر،(عن مجموعة الرحي) العام 1994م.
- جائزة الشارقة للإبداع المسرحي، (في الشارقة-الإمارات العربية المتحدة) 2001 م.
- جائزة اليونسكو للكتابة الإبداعية في فرنسا -2001م.
- الميدالية الفضية من مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون عن برامج المنوعات، عن برنامج "نقوش الليل" عام 1997م.
- شهادة تقدير من مهرجان الرواد الأول في القاهرة (جامعة الدول العربية)2001 م.
- فاز نص "مونودراما تغريبة إبن سيرين" ضمن العشرة نصوص الأولى في مسابقة المونودراما العالمية بالنسخة العربية – الفجيرة 2011 م .

والعديد من الجوائز المرتبطة بنصوص لأعمال وبرامج تلفزيونية وإذاعية .

وخاتمة القول،أن الأستاذ مفلح العدوان وأعماله الأدبية تدل على أنه عندما تعامل مع التاريخ كان على وطئ تام بأن دور الأديب يختلف عن دور المؤرخ فالمؤرخ لا يكتب إلا ما حدث بالفعل، وأما الأديب فيقدم تفسيرا لما حدث من خلال توجيه جديد لسير الأحاديث والشخصيات، وبهذا يعد مفلح العدوان (مفلح فلاح عبد العدوان) أديبا و مؤرخا من الناحيتين،...الفنية...و الفكرية.

المصادر

1. "الدواج" مجموعة قصصية ،منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق.
2. "الرجي" مجموعة قصصية ،دار أزمنة ،عمان.
3. "شجرة فوق رأس" مجموعة قصصية، عمان،الأردن.
4. "ظلال القري" و"آدم وحيدا" مسرحيتان ،عمان.
5. "عمان الذاكرة" نصوص نثرية ،عمان ،الأردن.
6. "موت عزرائيل" مجموعة قصصية ،بيروت.
7. "نحت آخر لتمثال المفكر" ،مختارات قصصية،بمصر.
8. "نهر الأردن" ،مجموعة قصصية،بيروت.
9. "بوح القري" ،عمان.
10. "العتبات"، الرواية ،عمان ،الأردن.
11. "معان وقرارها" ،(بلدانيات)،وزارة الثقافة_الأردن.
12. "رحلتي إلي فلسطين"،(الرحلة)،الأردن.
13. "عشيات حلم"،الشارقة_الإماراة العربية المتحدة.

المراجع

1. جريدة الدستور،عمان،مايو 2008 م.
2. العلاقة والإختلاف بين الشرق والغرب،المسرح والقصة،
3. مجلة الإتحاد ،13 أكتو،2017م .
4. عن الأردن ومبدعيه،عبدالستار ناصر،24عمان – الأردن .
5. القيم في البادية الجنوبية نشأته وتطوره،عبد الكريم فلاحالرواجفة،الأردن.
6. لماذا يا مفلح العدوان !كتب جهاد جبارة في جريدة أخبار الناس،عمان.
7. مجلة الرافد ،نوفمبر،2017م.
8. مرئية الوتر الخامس ضد التطرف، ماهر عريف،دار التوزيع والنشر،عمان.
9. معن البياري عن كتاب سجون في مجلة العربي الجديد،17أبريل 2016م.
10. مفلح العدوان وهندسة الأنماط الحضارية في رواية "العتبات"، مقالة د . غسان إسماعيل عبد الخالق،الأردن .

تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال

إقبال دانش*

iqbaldanishjnu@gmail.com

تمهيد:

من الحقائق الناصعة أن الأطفال هم صرح الأمم وعماد الأقوام، فلا يمكن أن تتطور وتنمو وترقى أمة وقوم إلا بتربيتهم الصالحة وتعليمهم النافع، فالأمم الراقية يلتزمون بتربية الجيل الجديد ويركزون عنايتهم الخاصة على تربية النشئ الجديد. فالدين الإسلامي يعتني أكثر عناية بتربية الأطفال، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول مربي وناصح للجيل الجديد- الذي كان أحسنهم خلقا وأكرمهم لطفا بقول الله تعالى "إنك لعلى خلق عظيم"- عرض نماذج تربوية للأطفال لم يسبق لها مثيل في عالم الرعاية بالأطفال، كما جاء في الأحاديث نصوص كثيرة تتعلق بالطفولة والعناية بالأطفال وتربيتهم وتعليمهم والعطف عليهم وتدريبهم على الصلوة والصوم وفعل الخيرات، فمن له إلمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - الذي أرسله الله تعالى أسوة حسنة للعالمين كافة – فهو يعرف اهتمامه البالغ والواسع بالبناء النفسي والعاطفي للأطفال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم الأطفال ويفيض عليهم من الحب والحنان والعطف، فيقبلهم ويلاعبهم ويداعبهم ويسأل عنهم ويسلم عليهم ويسر لرؤيتهم ويمسح على رؤسهم ويضع يده الشريفة على خدهم ويدعو لهم ويجلسهم في حضنه المبارك ويصبر عليهم ويستمع إلى أحاديثهم ويثني عليهم وأمر صلى الله عليه وسلم المسلمين بهذه الأمور المهمة قائلا "أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم".

القسم الأول الطفل في الإسلام

أولا: أهمية الأطفال في الإسلام:

لا يختلف فيه اثنان أن تقدم المجتمع منوط بناصية الأطفال. والمجتمع الصالح ينحصر بقاءه على الأطفال لأنهم يعكسون أطفالها الأخلاق والمبادئ التي تتم تربيتهم عليها، والأطفال هم مستقبل الأمة والدولة، حيث وضح الإسلام حقوقا لكل فرد سواء أكان رجلا مسنا، أم امرأة أم طفلا، وقد حرص الإسلام على رعاية حقوق الإنسان جميعا والأطفال وجدوا الحظ الوفير من هذه الحقوق التي أوجبها

الإسلام، فنظرا إلى أهميتهم في تشكيل المجتمع البشري علّم النبي صلى الله عليه وسلم أمته آداب التربية للأطفال والمعاملة معهم، كما أوضح القرآن بأن الأطفال من نعم الحياة وبهجتها وزينتها فقال "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" هذه هي الميول الفطرية التي أودعها الله في نفوس الإنسان جميعا مسلما أم كافرا فقيرا أم غنيا.

ثانيا: رعاية حقوق الأطفال في الإسلام:

إن للأولاد حقوق واجبة على والديهم وأمر الإسلام الوالدين على العمل بها، واهتم النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بحقوق الأطفال فأمرهما بأن يحسنا في اختيار أسمائهم وفي اختيار زوجهم وأن يتوفرا لهم بيئة صالحة للنشئ وأن يزيناهم بالتعاليم الإسلامية والقيم الإنسانية والأخلاق النبيلة وبالتربية الصالحة، وقد حث على إحسان تربية البنات نظرا إلى أوضاعهن في العصر الجاهلى، واستنكر وحرم وأد البنات وقتل الأطفال خشية إملاق أو بأي ذنب لأنه من الجرائم الشنيعة التي لا تتصور حيث تتفجر العاطفة الأبوية عند الوأد أو القتل وقال" إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وَهاتِ[2]، ووأد البنات، كره لكم قيل وقال، وكثرة السوال وإضاعة المال"[3] وكذلك شدد المسلمين على احترام اليتامى والحفاظ على أموالهم، فروى إبن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "الغلام يعق عنه اليوم السابع، ويسمى ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه، وإذابلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة و الصوم فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة، وروى أبو داؤد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يؤثر ولده، يعني الذكورعليها، أدخله الله الجنة"، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه ويعلم الكتاب إذا عقل ويزوجه إذا أدرك[4].

فكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم إذا ولد لأحد ولد أن يأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأخذه النبي ويقبله ويضمه إليه ويدعو له بالبركة.

---

* الباحث في الدكتوراه في مركز دراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهرلال نهرو، دلهي الجديدة، الهند.

[2] منعاً: المنع مصدر من منع يمنع والمراد ما أمر الله أن لايمنع، وهات: فعل أمر مجزوم و المراد النهي عن طلب مالا يستحق طلبه.

[3] رواه البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون و كتاب الأدب. ومسلم، كتاب الأقضية من حديث مغيرة بن شعبة.

[4] تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لسمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، باب حق الولد على الوالد.

القسم الثاني: تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال

أولا: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال

إن النبي صلى الله عليه وسلم له بنات وبنون وعرف حنان الأبوة قبل النبوة وبعدها، وأعطانا أسوة حسنة في معاملة الأطفال في الأسرة وفي المجتمع وفي جميع المعاملات الاجتماعية التي تهم شؤون الحياة، كما في حياته صلى الله عليه وسلم لوحات رائعة وصور متعددة للأطفال فقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم بموت أبنائه الذكور وهم في مرحلة الطفولة الأولى وكانوا صغارا لم يعرفوا طعم الحياة.

فلما ولدت مارية بشرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قد ولد له غلام جميل فأكرمها غاية الإكرام، ثم سماه في اليوم السابع إبراهيم تفاؤلا وتيمنا بأبيه، إبرهيم خليل الله وأبي الأنبياء، واختار له مرضعا من نساء الأنصار، وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم على مساكين المدينة، وتصدق بوزن شعر إبراهيم فضة، وحينما توفي إبراهيم وهو أكبر من سنة، فتألم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل على ابنه وهو يعتمد على يد عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، فألفى يجود بنفسه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال "ياإبراهيم إنا نغني عنك من الله شيئا" وذرفت عيناه الشريفتان ثم قال يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا، لحزنّا عليك حزنا شديدا هو أشد من هذا وإن بك يا إبرهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب، ولانقول مايسخط الرب"، فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على فقد ولده، وكان يعلم الناس، بل ويبشرهم بالجنة إن صبروا على فقد الأطفال، ومن ذلك مارواه أبوهريرة رضي الله عنه أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بصبي فقالت: أدع له، فقد دفنت ثلاثة، فقال "احتضرت بخطار شديد من النار"[5]، وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة، قلنا يا رسول الله و اثنان قال" واثنان قلت لجابر لو قلتم واحد لقال، قال وأنا أظنه والله[6].

وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيط بها ألوان العطف على الأطفال، فكان لهم من وقته نصيب، فكان يمازحهم ويقبلهم، ويعلم الناس أن يسلكوا هذا الطريق اللطيف في أمور الأطفال، فروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه

[5] الأدب المفرد للبخاري، باب فضل من مات له الولد، نقلا عن الكتاب: الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب، أحمد خليل جمعة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 223، دمشق، البيروت.

[6] والأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد.

وسلم، فقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة"[7].

ففي هذا الحديث تعنيف وزجر لكل أبوين لايقبلان ولايعطفان عليهم وحكم عليهما بأن الرحمة منزوعة من قلوبهما، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظمة مقامه، كان للأطفال نصيب موفور من حياته صلى الله عليه وسلم ففيه إرشادات عالية لهم وهدايات طيبة التي تزرع لهم الرحمة في قلوب الآباء ذوي القسوة الشديدة الذين يشغلون عن أولادهم، كما جاء أنه كان يقبل ذات مرة حفيدة الحسن بن علي، رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس وهو جالس، فقال الأقرع، إن لي عشرة من الولد، ما قبّلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لم يرحم لايرحم"[8].

ثانيا: مواقف محبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال :

الحسن والحسين، رضي الله عنهما، سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانتاه من الدنيا وسيدا شباب أهل الجنة كان لهما النصيب الأعظم من حبه صلى الله عليه وسلم من اختيار أحسن الأسماء لهما وضمهما وتقبيلهما وإردافهما على الدابة وغير ذالك، فغيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الحسن والحسين بعد أن سماهم علي، رضي الله عنه حربا وذلك تفاؤلامنه، فعن علي رضي الله قال" لما ولد الحسن سميت حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني إبني ماسميتموه قال: قلت حربا قال بل هو حسن فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني إبني ماسميتموه قلت حربا قال بل هوحسين، فلما ولد الثالث سميته حربا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال، أروني ابني، ماسميتموه، قلت حربا، قال، بل هو محسّن، ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبّر وشبير ومشبر"[9].

وعن أبي بريدة، رضي الله عنه، قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما القميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، فنظرت إلى هذين الصبيين

---

[7] الأدب المفرد للبخاري، باب قبلة الصبيان.

[8] الأدب المفرد للبخاري، باب قبلة الصبيان، و مسلم، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

[9] الأدب المفرد للبخاري، باب الصرم، و رواه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، كتاب العشر المبشرين بالجنة، باب مسند علي أبي طالب.

يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما"[10].

لا ريب فيه أن رسولنا صلى الله عليه وسلم هو القدوة المثلى في رعاية الطفل في كل المجالات، فهنا أذكر بعضا من مواقفه في تعامله صلى الله عليه وسلم مع الأطفال الذي تدل على لون آخر من ألوان تربيته الشريفة ورعايته أثناء الصلوة كما أطال الصلوة وأجازها لرعايتهم، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر، ويطيل الصلوة أحيانا لأن أحد ولديه على ظهره كراهة أن يعجله حتى يقضي حاجته، وهذه من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه قال" خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشيّ الظهر أو العصر و حامل حسن أو حسين فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهرَي صلاته سجدة أطالها قال إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله الصلاة قال الناس يا رسول الله إنك سجدت بين ظهرَي الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته[11].

ثالثا: تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم في المساواة بين الأولاد:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه إلى المساوات والعدل بين أطفالهم وأولادهم في كل شيئ، في الحب والعطاء و المعاملة حتى في القبلة أو النظرة، فروى ابن عباس، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:""من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولدها عليها أدخله الله الجنة"[12].

وقد حدث النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، أن أباه انطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله فقال: يارسول الله إني أشهدك قد حلت النعمان كذا وكذا

فقال "أكل ولدك نحلت"؟

قال: لا

---

[10] رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله مناقب أبي محمد الحسن بن علي. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حيث الحسين بن واقد.

[11] سنن النسائي،:1128، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، ومسند أحمد، مسند المكيين، حديث حمزة عمرو الأسلمي.

[12] رواه أبوداؤد، باب في فضل عال يتيما.

قال: " فأشهد غيري"

ثم قال: أيسرك أن يكونوا في البر سواء"؟

قال: بلى

قال: "فلا إذا"، وفي رواية أخرى" أفعلت هذا بولدك كلهم:؟

قال: لا

قال:"اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"

قال نعمان: فرجع أبي فرد تلك الصدقة[13].

فهذا الحديث يؤكد على المساواة بين الأطفال ضمانا لإحقاق الحق، ويظهر حق الطفل مهما كان، ويحث الآباء على العدل والمساواة، وأن لايفضلوا ولدا على الآخر بالعطاء وغيره، لئلايكون بينهم العداوة والبغض، ولأن هذا العمل يعد ظلما وجورا وبعدا عن الإنصاف، وأشار النبي في رواية أخرى إلى وجوب المساواة بين الأطفال والأولاد عموما بقوله "اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف"[14].

ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله، وأقعده على فخذه، وجاءته بُنَية له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" ألا سويت بينهما"[15]. هذا هو المساواة الدقيق الذي لم تعرفه الحضارات العالمية إلا في الإسلام. وهذه تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم للآباء والأمهات لمعرفة حقوق الأطفال حتى في القبلة والجلسة والمداعبة.

رابعا: مداعبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم، له صور جميلة لتربية الأطفال ومعاملته سواء كان ذكرا أو أنثى كما مر فيما سبق، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالط الأطفال، يؤنسهم ويباسطهم لأنه يدرك أن الأطفال يحتاجون إلى المداعبة واللهو معهم، كما يحبون المزاح والضحك، روى أنس بن مالك، رضي الله عنه، "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال

[13] صحيح البخاري، باب الإشماد في الهبة،و صحيح المسلم،كتاب الهبة،باب كراهيةتفضيل بعض الأولاد في الهبة، وفوائد تمام الرازي.

[14] صحيح البخاري الرقم 2411، صحيح ابن حبان، كتاب الهبة.

[15] البحر الزخار بمسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، الرقم: 1901، ويقول المصنف: هذا الحديث لانعلمه رواه عن معمر إلا عبد الله بن موسى، وكان صنعانيا تحول إلى مكة.

أحسبه فطيما وكان إذا جاء قال يا أبا عمير مافعل النغير، نغر كان يلعب به فربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فينكس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا"[16]. فيه عظة أن النبي صلى الله عليه وسلم مع اشتغاله بأمور الجهاد والدعوة والعبادة وأمور الناس، يلاطف أطفال الصحابة ويدخل السرور عليهم ويسأل الطفل عن طائره. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول، الحمد لله الذي أنقذه من النار[17]. فهذا يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الطفل ورحمته وشفقته به ولو كان كافرا.

وأذكر هنا طريقا آخر من ملاطفته للأطفال، عن عائشة رضي الله عنها قالت "كنت ألعب بالبنات في العرائس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يأتيني صواحب لى، فكن ينقمن ويختفين إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول الكريم ليسر لمجيئهم إلي فيلعبن معي"[18]، وفي رواية أبي داؤد، قال لها الرسول، صلى الله عليه وسلم، يوما "ماهذا" مشيرا إلى العرائس من الدمى من ألعابها، فقالت: بناتي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ماهذا الذي في وسطهن"؟

قالت :فرس.

فقال :"ماهذا الذي عليه"؟

قالت: جناحان

قال: "أفرس له جناحان؟!"

قالت: أوما سمعت أنه كان لسليمان بن داؤد خيل لها أجنحة؟ فضحك حتى بدت نواجذه[19].

من حب النبي صلى الله عليه وسلم وتربيتهم المباركة للبنات الصغار ماعامله مع حفيدته أمامة بنت أبي العاص، ابنة ابنته، زينب، رضي الله عنهما، فكان يحملها في الصلاة، قال أبوقتادة الأنصاري رضي الله عنه، بينما نحن ننتظر رسول الله في الظهر والعصر، وقد دعاه بلال للصلاة، إذ خرج إلينا

---

[16] البخاري برقم 6203، والمسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته.

[17] شرح السنة، الحسين بن مسعود بغوي، باب بيان أعمال الإسلام وثواب إقامتها.

[18] البخاري في الأدب، الرقم: 6130، ومسلم، في فضائل الصحابة، الرقم:2440، وطبقات ابن سعد 61-8، نقلا عن الكتاب الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب.

[19] أخرجه أبو داؤد في الأدب، باب في اللعب بالبنات، والنسائي باب "في عشرة النساء".

وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عنقه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصلاه، وقمنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه، فكبر فكبرنا، حتى إذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركع أخذها فوضعها، ثم ركع فسجد، حتى إذا فرغ من سجود، ثم قام، أخذها فردها في مكانها، فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع بها ذلك في كل ركعة حتى فرغ من صلاته[20].

الخلاصة :

ومن نافلة القول أن هذا غيض من فيض من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في باب تربية الأطفال وتعليمهم، فهذه رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته في تربية الأطفال لأمته المسلمة. أنه لم يترك الصبية خلال الإمامة للصلاة مع أنها أفضل العبادات من عبادات الله، وكيف كان يلطف مع الحسن والحسين يحث على تربية الجيل. فلا بد للمسلمين في زماننا من أن يحسنوا معاملة حسنة مع أولادهم الصغار حتى لا يفوتهم العدل والمساواة فيما بينهم كما يجب عليهم أن يركزوا عنايتهم على تربيتهم الصحيحة وتعليمهم النافع، وذلك اقتداء بهذه الأسوة الحسنة التي علمها الرسول المسلمين لتربيتهم وتعليمهم حيث أن الله وصفه صلى الله عليه وسلم، قائلا "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. [سورة الأحزاب:21]. فأسوة الرسول في باب تربية الجيل الجديد يتطلب منا أكثر عناية وأدق فكرا تجاه الأطفال والصغار.

المصادر والمراجع

- القرآن
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داؤد
- سنن الترمذي
- سنن النسائي
- شرح السنة، حسين بن مسعود بغوي
- ومعجم الكبير للطبراني
- الأدب المفرد للبخاري
- البحر الزخار للبزار، المعروف بمسند البزار
- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لسمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم
- الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب، أحمد خليل جمعة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، البيروت.

[20] أخرجه مسلم، باب حمل جواز الصبيان في الصلاة، وأبو داؤد، باب العمل في الصلاة، ومعجم الكبير للطبراني، مسند من يعرف بالكنى من أصحاب الرسول.

الكفايات اللازمة لمعلم اللغة العربية وثقافتها لغير الناطقين بها

الباحثة عدلاني هجيرة

المركز الجامعي غليزان

المدخل تهدف هذه المقالة إلى معالجة أداء معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها عند تناوله المحتوى الثقافي للغة العربية أثناء تدريسه .

فإنه لا يُتصور أن نستخدم لغة إلا في سياق ثقافي واجتماعي ؛ ولذلك فالثقافة هي تلك الخلفية التي لا نستطيع أن نفصلها عن الصورة ؛ وبالتالي فالثقافة هي خلفية اللغة ؛ ولذلك قيل :" إن الثقافة هي البعد الخامس للغة " على اعتبار أن اللغة أربع مهارات : الاستماع والكلام والقراءة والكتابة.

وفي ضوء مبادئ المدخل الثقافي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فإن المعلم في ضوء هذا المدخل لا بد أن يكون له من السمات والصفات والخصائص الشخصية والنفسية والثقافية والفكرية التي تؤهله للقيام بدوره على أكمل وجه، كما ينبغي أن يكون له أداءات إجرائية نابعة من مبادئ المدخل الثقافي ويعد هذا من الكفايات اللازمة لمعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويرشدنا المدخل الثقافي أيضا إلى أن هناك كفايات نفسية وثقافية وأكاديمية تؤهله للقيام بدوره في العملية التعليمية[1]

ولكن ما المقصود بالمدخل الثقافي في هذه المقالة؟

ويقصد بالمدخل الثقافيأنه اتجاه ينظر إلى اللغة على أنها لا تنفك عن إطارها الثقافي ؛ وبالتالي لا يمكن تدريس اللغة في غياب إطارها الثقافي كبعد خامس للغة ، حيث ينطلق من هذا الافتراض عن طبيعة اللغة وطبيعة تعليمها وتعلمها إلى معالجة طريقة تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في إطار ثقافتها العربية الإسلامية[2]

والآن وفي ضوء تعريف المدخل الثقافي، ما الكفايات اللازم توافرها في معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المدخل الثقافي؟

يشير أحد الخبراء إلى أن تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها يكون ذا فاعلية إذا تم له عدة أمور، من أهمها:

1 – يُعد البرنامج في ضوء أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والثقافة العربية الإسلامية.

2 – إعداد المعلم الذي ينفذ البرنامج وتهيئة الظروف التي تساعده على نجاح البرنامج[3]

(أ): الكفايات النفسية والسمات الشخصية والصفات اللازمة لمعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المدخل الثقافي:

هناك مجموعة من الكفايات النفسية والسمات الشخصية اللازمة لمعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها والمستنبطة من المدخل الثقافي واستراتيجيات تدريس ثقافة اللغة في برامج تعليم اللغة لغير الناطقين بها، وهي كفايات لازمة لتحقيق المعلم لأهداف البرنامج التعليمي، وخاصة تلك المتعلقة بالمحتوى الثقافي في البرنامج، ومن هذه الكفايات النفسية والسمات الشخصية ما يلي:

1 – أن يكون المعلم على قناعة بنسبية الثقافة:

ونظرًا لاختلاف البيئات الطبيعية والاجتماعية في هذا العالم، فإن الثقافة كناتج للخبرة الإنسانية متنوعة ومختلفة، وهذا التنوع وهذا الاختلاف يتجاوز عناصر الثقافة إلى أنماطها، أي أنها تختلف بالنمط، والاختلاف النمطي هذا لا يجعل ثقافة أصوب من ثقافة أي أنه ليس ما هو صحيح في ثقافة لا بد أن يكون صحيحا في كل الثقافات، وليس ما هو خطأ في ثقافة خطأ في كل الثقافات، بل لكل ثقافة صوابها وخطؤها، حسنها وقبيحها، نافعها وضارها، وهذا لا يحتاج بالضرورة إلى تأييد من ثقافات أخرى.

كما أنه لا يجوز مقارنة ثقافة بثقافة أخرى، ولا يفسر السلوك الإنساني إلا بنسبيته لثقافته، وليس بالنسبة لتوافقه أو شذوذه مع أو عن ثقافات أخرى[4]

2 – أن يكون المعلم على قناعة بأنه لا يعلم شفرات ولا رموز:

ليس هناك مدرس لغة يرضى أن يقتصر في تدريسه على تعليم الشفرة أو الرمز، وحتى لو قَبِل ذلك، فإنه يخالف ما تنص عليه توصيفات المقررات الدراسية بالنسبة لتعليم اللغات من ضرورة التركيز على الجوانب الثقافية أيضًا.

فإذا اقتنع المعلم أنه لا يعلم شفرات فإن اهتمامه سيتحول من الجانب المادي ومن الرسالة إلى محتوى الرسالة، على عكس وجهة نظر علم اللغة الحديث في نظرته للغة

3 – أن يكون المعلم على قناعة أنه ليس بالضرورة أن تثير المفاهيم الثقافية الطالب وتدفعه إلى الكلام، ولكن على المعلم أن يجعل هذه المفاهيم في موقف ملزم:

على الرغم من العلاقة القوية بين اللغة والثقافة، فلا ينبغي أن نفهم من ذلك أن أي احتكاك للطالب بالمفاهيم الحضارية يجب بالتالي ويشكل تلقائي أن يحث الدارس على الكلام[5]، فلا بد أن

تكون المفاهيم الحضارية في موقف ملزم يخلقه المعلم ويهيئه؛ لكي يثير الطالب ويدفعه للكلام والتعبير، ومثال ذلك أن ينظم المعلم نشاطًا ثقافيًا اتصاليا، كالخروج في سوق تجارية مع طلابه، ويطلب منهم أن يستخدموا التعبيرات التي درسوها من التحية والممارسات التسوقية وأيضًا تعبيرات الشكر وغيرها من التعبيرات الثقافية، ولا يترك للطالب وحده قرار الممارسة لكي يتجنب نوازع الخجل والكسل وغيرها من معوقات الممارسة الاتصالية واللغوية.

4 – أن يكون المعلم قدوة ثقافية:

تعتبر القدوة الأسلوب الأقوى فاعلية في تنمية اتجاهات الأفراد، وفي برامج تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى يلعب المعلم دورًا كبيرًا في تنمية اتجاهات الدارسين نحو العربية وثقافتها، إنه القيّم على نقل التراث الثقافي، والمسئول الأول عن القيم والمفاهيم التي تبث في نفوس الطلاب، وكذلك الفروض التي تتكون في عقولهم نحو العربية وثقافتها، وينبغي على المعلم إن لم يكن عربيًا أن يحترم هذه اللغة وثقافتها، فلا ينبغي أن تصدر منه عبارات توحي بصعوبات هذه اللغة أو يقلل من قدر الإنسان العربي، والقدوة نموذج سلوكي يتحد فيه الفكر والعمل، وليس من العسير على الطلاب أن يدركوا ما في سلوك المعلم من تناقض مع أقواله إن حاول خداعهم [6]

ومن جملة صفات المعلم القدوة ثقافيا أن يكون موهوبا، والموهوب هو القادر على الإنتاج الفردي للثقافة المتميزة، وهو يتسم بسمات رئيسة، هي:

- عشق الثقافة.
- الأداء المدقق في المجال الذي يعشقه.
- بذل الجهد الوافر وبنفس راضية فيما يميل إليه بشغف شديد.

- الوصول إلى إنجاز ثقافي له قيمة فردية ومجتمعية في مجال المعرفة العلمية أو الرياضية أو الفنية أو الأنشطة الاجتماعية.

- الحرص على اقتناء متطلبات موهبته الثقافية

5 – أن يكون مدركا لثقافات الدارسين:

ويؤدي عدم إدراك المعلم لثقافات الدارسين إلى معاملة بصورة خاطئة لا تتناسب مع ما تربوا عليه في ثقافاتهم

وهناك ضرورة لفهم المعلم للخلفيات الثقافية للتلاميذ في الفصل الواحد، حتى يفسر في ضوء هذه الخلفية أشكال السلوك التي تبدر من بعضهم مما يعد مخالفا للسلوك العام في الفصل، ولعل

هذا أيسر الأمور خطورة، ولكن أشدها خطورة يكمن في الصراع الذي قد يشهده التلميذ بين ما يُفرض عليه ممارسته في الفصل وبين ما تعود على ممارسته في البيت أو مع أقرانه من ذوي ثقافته. وليحرص المعلم على ألا يعرض التلميذ لمثل هذا الصراع، وذلك بأن يترك مساحة للحركة يسمح للتلميذ فيها أن يخالف الأعراف العامة في الفصل مع تهيئة باقي زملائه؛ لتقبل ذلك ما دام الأمر بعيدًا عن إلحاق الأذى بأحدهم، ولعل منطق تسامح التلاميذ مع زميلهم هو تعرضهم للموقف نفسه في وقت ما

6 – أن يكون المعلم ذا صدر رحب، وأن يتقبل النقد الموجه للثقافة العربية الإسلامية من قبل الدارسين:

ويأتي قبول هذا النقد من وعيه بواقع الافتراءات والمزاعم التي تُنشر عن العرب والمسلمين في وسائل الإعلام العالمية وخاصة الغربية، وتقبل هذا النقد هو الخطوة الأولى، حيث تكون الخطوة التالية هي رده بشكل مقنع ومنطقي على هذا النقد، ولن يتأتي ذلك إلا من معلم واع بثقافته ومدرك لحقيقتها.

7 – أن يكون المعلم قناعة بمنطق الاختلاف بين الثقافات وتنوعها:

وذلك وانطلاقا من مبدأ إسلامي أصيل، حيث يقول المولى عز وجل {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}

وإذا تحققت النقطة السابقة في المعلم وهي القناعة بمنطق الاختلاف، فإنه يصبح أكثر قبولًا واعترافا بالآخر وأكثر انفتاحا على تجاربه، وهذا ما أكدته ندوة ((تفعيل مقومات الهوية الثقافية الإسلامية في الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات))، وهي ندوة دولية عُقدت في المقر الدائم للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بالرباط في فبراير 2006، وبحثت تلك الندوة أربعة محاور رئيسة، وشملت إبراز التجربة الحضارية الإسلامية الرائدة المستندة إلى مقومات الهوية الثقافية الإسلامية في الاعتراف بالآخر والانفتاح على تجاربه، وطرائق تفعيل مقومات الهوية الثقافية الإسلامية الداعية إلى الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات في ضوء المتغيرات الدولية والعولمة الثقافية، وسبل التصدي لبعض تعبيراتها السالبة التي تتنافى مع حق الآخر في الاختلاف، والرد على الافتراءات والإساءات الموجهة إلى الإسلام وبيان مخالفتها لحقائق التاريخ والموضوعية العلمية

وإذا تحقق ذلك القبول والاعتراف بالآخر أدى ذلك إلى احترام الثقافات الأخرى، وهذا ما وصى به أحد الباحثين من احترام الثقافات الأخرى وعدم إصدار أحكام ضدها [7]

(ب): الكفايات الثقافية:

ومن الكفايات الثقافية اللازم توافرها في معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها ما يلي:

1 – أن يكون المعلم على ثقافة عالية:

إن تدريس الجانب الحضاري يتطلب من المعلم الذي يقوم به أن يكون على ثقافة عالية، فلا يقف عند حد النقل من كتاب مدرسي أو تلخيص كتاب أو تقديم أفكار عامة تفتقر رغم أهميتها إلى التحرير والتوثيق، ومثل هذه السطحية لا تخفى على الطلاب الأجانب الذين يدرسون اللغة العربية ويعرفون عن حضارة العرب المسلمين وواقعهم ما يفوق بكثير مستواهم في هذه اللغة [8]

وللبعد عن السطحية في تحصيل الثقافة لا بد أن يكون المعلم على دراية متعمقة وواعية لمفهوم الثقافة ومكوناتها (الجانب المعياري - السلوكي – الحضاري)، ومقومات الثقافة العربية الإسلامية، وخصائصها، ومقاصدها العليا.

ومن الضروري توافر قدر مناسب لدى المعلم من الثقافة العامة، تعينه على فهم العالم الذي يعيش فيه تلاميذه

كما أنه من الضروري أن يكون المعلم على وعي تام بالثقافة العربية الإسلامية، حيث يعينه هذا الفهم على مناقشة المحتوى الثقافي مع المتعلمين وحسن تفسيره لهم

2 – أن يكون للمعلم رؤية ثقافية تتسق مع الثقافة العربية الإسلامية:

معلم اللغة العربية ليس مجرد (ربوت)، ولكنه إنسان بكل معنى الكلمة، ويجب أن تكون لديه فلسفة ولديه رؤية للكون والإنسان الحياة تتسق مع الثقافة العربية الإسلامية، وأن يعلّم اللغة العربية من خلالها، وهذه الرؤية تتطلب الإيمان بها والدفاع عنها، فالشخص الذي ليس لديه رؤية لا يعد مثقفًا

3 – أن يحدد المعلم مصادر المعرفة الأساسية، والمتمثلة في الوحي (المصدر الأول)، والكون (المصدر الثاني):

وهذا سينعكس بالضرورة على تحديده لمصادر معرفته الأخرى، وعلى اختياره للمواد التعليمية وعلى طرائق تدريسه والأساليب المستخدمة في التقويم

4 – أن يكون المعلم على دراية بمكونات الثقافة والمجتمع الإنساني؛ حتى يتسنى له التفاعل معها، وتقديمها للطلاب:

ويتكون المجتمع الإنساني من أربعة عناصر

أ. الأفراد الذين يكوّنون الجماعة.

ب – الصلات التي تنشأ بالضرورة بين الأفراد.

ج – النظام الذي يضبط سلوك الجماعة ويوجهها.

د – العقيدة وهي أعظم العناصر المكونة للمجتمع وأكثرها خطرا؛ ذلك أنها تتحكم في المجتمع، وتضع قواعده، وتقيّم نظمه.

5 – حفظ المعلم لبعض أجزاء من القرآن الكريم، وحفظ عدد من الأحاديث النبوية الشريفة.

6 – أن يدرك المعلم مفهوم الثقافة، وخصائصها، وأسسها، ومصادرها، وأن يفرق بين الثقافة العربية والإسلامية والمحلية.

7 – أن يكون المعلم مدركا لطبيعة المجتمع وعناصره وتفاعلاته.

(ج): الكفايات الأكاديمية

من الكفايات الأكاديمية: [9]

1 – المعرفة التامة بمواد التخصص وسيطرته على مختلف فنونها ومهاراتها

فالمعلم إن لم يكن قويًا في مادة تخصصه فلا يكون موضع احترام ولا تقدير من الطالب؛ وبالتالي يصعب تلقي الطالب عنه.

كما أن إتقان المعلم لمادة تخصصه إحدى صفات القدوة الثقافية التي يجب على المعلم الالتزام بها؛ ليكون صورة مشرقة عن الثقافة التي يقوم بتقديمها لغير أهلها.

2 – المعرفة الكاملة بطبيعة المتعلمين وخصائصهم النفسية والعلمية والفنية، وإرشادهم إليها ومصادر المعرفة المناسبة لهم

3 – أن يخبر الطلاب بوضوح بالأهداف الثقافية للبرنامج؛ مما يبصر الطالب بالموقف التربوي؛ ومن ثم غالبا ما يؤدي إلى زيادة جهد الطالب ودافعيته.

4 – أن يؤسس عمله على النظريات العلمية والاتجاهات الحديثة في التربية

5 – كفايات أكاديمية (مهنية) لازمة للمعلم خلال عملية التخطيط:

أ – أن يحدد الأهداف العامة والخاصة لتعليم اللغة العربية كلغة أجنبية – ومنها الجانب الثقافي للغة بأهدافه العامة والخاصة – وصياغتها بدقة، وتحديد الزمن المناسب لها.

ب – أن يحدد المحتوى المناسب لهذه الأهداف.

ج – أن يستخدم الطرائق المناسبة لكل نشاط، مع التنويع في هذه الطرائق والأساليب.

د – أن يعد الوسائل والتقنيات المستخدمة في كل نشاط.

هـ - أن يخطط لأنشطة متنوعة فردية وجماعية لمقابلة الفروق الفردية.

و – أن يعد أدوات مناسبة ومتنوعة للتقويم.

6 – كفايات أكاديمية (مهنية) لازمة لتنفيذ الأنشطة الثقافية:[10]

أ – أن يمهد بأسلوب شيق لموضوع النشاط، وغالبا ما يكون الاختلاف الثقافي بين ثقافة الدارس وثقافة اللغة الأجنبية المتعلمة هو مصدر التشويق.

ب – أن ينوع أساليب التمهيد.

ج – أن ينوع في استخدام الأنشطة.

د – أن ينتقل من السهل إلى الصعب ومن المجرد إلى المحسوس ومن الخبرة المعروفة إلى الخبرة غير المعروفة تدريجيا.

هـ - أن يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة لكل نشاط.

و – أن يوفر عنصر الأمان في الوسائل المستخدمة، فمثلا لا يذهب الأجانب في رحلة تاريخية فيها خطر على حياتهم وعليه أن يؤمن لهم الطريق بالتعاون من الجهات المسئولة من ذلك.

ز – أن يتعامل مع الفروق الفردية بمهارة وذكاء ومرونة وابتكار.

ج – أن يستخدم التغذية المرتدة عند تنفيذ خطوات النشاط.

ط – أن يختار الطريقة التدريسية والأنشطة في ضوء الظروف البشرية والمكانية والزمانية الجديدة.

7 – كفايات التفاعل الاجتماعي

أ – أن يقيم علاقة صداقة مع طلابه قائمة على الثقة والمودة والاحترام.

ب – أن يتيح الفرص لإقامة علاقات صداقة بين الطلاب ومتحدثين أصليين للغة العربية.

ج – أن يستخدم أدوات وإجراءات متنوعة لضبط الفصل.

د – أن يوزع اهتمامه على الطلاب.

هـ - أن يخلق جوا من الفكاهة والمرح.

8 – كفايات أكاديمية (مهنية) للتقويم

أ – أن يقوم النشاط وفقا للأهداف.

ب – أن يستخدم التقويم المبدئي والنهائي والختامي.

ج – أن يقيس المستويات المعرفية المختلفة.

9 – أن يتمكن المعلم من مهارات الحاسب الآلي واستخدام الانترنت في تدعيم معلوماته وتطوير أساليبه التدريسية

10 – أن يتمكن من طرائق تدريس الثقافة

11 – أن يختار طريقة التدريس المناسبة لمقاصد الثقافة العربية الإسلامية

المراجع و المصادر

1- رشدي أحمد طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم العربية..إعدادها- تطويرها- تقويمها، دار الفكر العربي، 2004.

2- علي أحمد مدكور وإيمان أحمد هريدي، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .. النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2006 م .

3- علي إسماعيل محمد، تدريس اللغة العربية، المكتب العربي للمعارف.

4- محمد علي عكّيلة و سمير عبد اللطيف هوانة وحسن جميل طه، مدخل إلى مبادئ التربية، كلية التربية، جامعة الكويت، دار القلم.

5- حمادة إبراهيم ، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية و اللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها ، دار الفكر ، 1987 م .

6- محمود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، 2003 .

7- مصطفى عبد السميع وفيليب اسكاروس، التحليل الشجري للأبعاد الثقافية في مناهج التعليم..رؤية استراتيجية، ورقة مقدمة إلى "المؤتمر العلمي العشرون..مناهج التعليم والهوية الثقافية"، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، يوليو 2008 م.

8- إيمان محمد مبروك قطب، تقويم المحتوى الثقافي لكتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء دوافع وحاجات الدارسين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2006 م.

9- رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها في المجتمع المعاصر..اتجاهات جديدة وتطبيقات لازمة، ورقة مقدمة إلى ندوة بعنوان "اللغة العربية إلى أين؟"، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط (المملكة المغربية) نوفمبر2002، نشر بتاريخ 2005.

10- صفاء محمد محمود، تصور مقترح لمقرر اللغة العربية لغير المتخصصين في تدريسها في ضوء أبعاد الهوية في نظرية"فيرث" اللغوية، بحث مقدم إلى "المؤتمر العلمي العشرون..مناهج التعليم والهوية الثقافية"، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، يوليو 2008 م.

ارتباط اللغة العربية بغيرها من اللغات وتلقيها عند الشعوب

د. غسان عبد المجيد

أستاذ محاضر في الجامعة الإسلامية العالمية باكستان

هدف الدراسة

ثمة مشاكل كثيرة يتعرض لها متعلمو اللغة العربية من غير العرب، منها ما يتصل بالظروف الاجتماعية ومنها ما يتعلق بالمناهج التعليمية والأساليب المتّبعة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وفي هذا البحث سنسلط الضوء على موضوع اختلاف تلقي غير العرب للغة العربية وبيان العوامل المؤثرة في تلقي اللغة العربية مع إطلالة على مدى التقارب بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

مقدمة :

اللغة العربية بحر عظيم الكنوز، وجبل راسخ عبر الزمان فهي لغة قدسها الله بأن جعلها لغة القرآن ولغة أهل الجنة ولغة الدين الأسمى والرسالة السماوية الأعظم ألا وهو الدين الإسلامي، وهذا أحد العوامل الجوهرية في إقبال غير الناطقين بالعربية من معتنقي الديانة الإسلامية على تعلمها، ومن الجدير بنا أن ننوه إلى أنها اللغة الوحيدة التي حافظت على نفسها، فلم تتغير تغيراً جذرياً مثل باقي اللغات الأوروبية التي تطورت عن أصل واحد، ومن ثم تفرعت وتعددت وأصبحت لغات قائمة بحد ذاتها عبر الزمن، إذ إنه بإمكانك مطالعة النصوص القديمة جداً والمخطوطات العربية أيّاً كانت دون حرج وبكل سهولة ويسر، وخاصة أن اللغات الأوروبية في طبيعتها لغات تركيبية، أما اللغة العربية فهي لغة إعرابية،وهذا ما عمل علماء اللغة للحفاظ عليه وذلك عن طريق تأليف كتب مختصة بتركيب الجمل، مثل : "خصائص العربية" و"دقائق التصريف" و"النظم"بالإضافة للقرآن الكريم الذي يعد أساس بقاء اللغة العربية رغم التحديات التي واجهتها والتدخلات الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة والتي تهدف إلى ضياع اللغة العربية الفصيحة وبث السم الأجنبي واللوثة اللفظية فيها والتي لاننكر تأثيرها البادي في اللهجات التي بدأ أصحاب اللغة العربية يتكلمونها- وهذا ما تحدث عنه ابن خلدون في مقدمته-[21] هذابالإضافة إلى الدعوات الحالية

[21] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004، ط1، ص307.

للتأليف بهذه اللهجات وأما الهدف من ذلك فهو تجريد اللغة العربية من قدرتها على توحيد الأمة الإسلامية جمعاء وإضعافها.

الأهمية والمكانة العظيمة التي تتمتع بها اللغة العربية بين اللغات :

تعد اللغة العربية أحد فروع اللغات السامية الأقرب إليها فهذه اللغة العظيمة ذات الصفات المميزة والتي كانت ولازالت قادرةً على تأدية الغاية وحمل الرسالة التي أنيطت بها من الله عز وجل، ويقول ابن جني :"إن اللغة العربية لغة نبيك التي فضلها الله عز وجل على سائر اللغات، وفَرَعَ بها فيه سامي الدرجات"[22]

وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها؛ فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السَّعة فالأمر فيها واضح، ومَن يتبع جميع اللغات لا يجد فيها - على ما سمعته - لغةً تضاهي اللغة العربية و اللغة العربية لغة القرآن الكريم ذلك الكتاب العظيم الذي لا يماثله كتاب، ولا يقارن به مخطوطة أو تأليف أيّاً كان وهذا يقتضي منها أن تكون لغة متفوقة عن غيرها من اللغات، هذا بالإضافة إلى أنها لغة خاتم الأنبياء النبي محمد صلى الله وعليه وسلم النبي المرسل للبشرية بأسرها، ومن هنا يمكننا أن نصل إلى نتيجة بالغة الأهمية أنها لغة صالحة لأن تكون لغة البشر كافة قال تعالى : ((بلسان عربي مبين))(الشعراء الآية رقم 195) ووصفه تعالى لهذه اللغة بالبيان يؤكد على أن اللغات كافة غير قادرة على أن تكون بمستواها، وهذاوسام كللها به الخالق سبحانه تعالى، فالطاقات الهائلة التي تمتلكها هذه اللغة الرائعة جعلت منها تسع القرآن بكل مافيه من آفاق وأبعاد،فهي لغة عنوانها الخلود لأنها باقية بقاؤه بالإضافة إلى تكفل الله عز وجل بحفظها ضمنياً في قوله ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (الحجر الآية رقم 9) هذا ويقول الفارابي في ديوان الأدب " هذا اللسان كلام أهل الجنة وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة والمعلى من كل خسيسة والمهذب من كل مايستهجن أو يستشنع فبنى مباني باين بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له وتأليف بين حركة وسكون حلاه بها "[23] أما الثعالبي فيقول في مقدمة كتابه ((فقه اللغة وسر العربية)) واصفاً العربية " مَن أحب الله تعالى، أحب رسوله محمدًا، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدًا خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم،

[22] ابن جني ،أبو الفتح ،المحتسب، دار صادر، بيروت، ص221

[23] الفارابي، ديوان الأدب، تح أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2003، ج1، ص145.

ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره، وقال ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًّا بينًا... وأيضًا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب"[24]

الإقبال من غير الناطقين بالعربية على تعلمها :

تعد اللغة العربية اللغة الخامسة عالمياً حسب التصنيف العالمي للغات والمتكلمين بها وهذا دليل على وجود إقبال كبير على تعلم العربية من غير العرب الناطقين بها، ولعل أبرز العوامل التي تدفع غير العرب لتعلم العربية هي:

1 – اللغة العربية لغة الإسلام :

أنزل اللهالرسالة الإسلامية الحنيفة وتعاليمها العظيمة إلى العرب وبعث بها النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الأمم بلسان عربي فكان الأساسان الجوهريان اللذان يقوم عليهما هذا الدين - القرآن الكريم ، قال تعالى ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))(سورة يوسف الآية 2) والسنة النبوية الشريفة والتي نقلت عن رسوله الأكرم باللغة العربية- وفهمهما ومعرفة كنههما، وحتى استنتاج الأحكام منهما يتطلب تعلم اللغة التي ينطقون بها، بالإضافة إلى أن الكتب الفقهية التي جاء بها الأئمة جميعهم كانت مكتوبة باللغة العربية،وقد نوه علماء الدين إلى الأهمية الجلية للعربية في كتابة الفقه فكانوا يقولون إنه من تكلم في الفقه بغير العربية كان لسانه قصيراً ، كما أن انتشار الإسلام في البلاد الأجنبية منذعصرفتوحات الدولة الإسلامية للدول الأجنبية وانتشار الإسلام في البلاد المفتوحة كان له كبير الأثر في انتشار العربية وتعلمها.

2 –الدافع الاقتصادي :

تعد الدول العربية وخاصة البترولية منها محجاً لطالبي العمل من مختلف الجنسيات، وبالطبع فإن امتلاك القدرة على التخاطب باللغة العربية يجعل منهم من أصحاب الأولوية في الحصول على العمل في هذه الدول،كما أن العولمة الاقتصادية[25] وتأثيرها كانت سبباً هاماً في إقبال الدول الغربية والدول الكبيرة

[24] الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ص29.

[25] صلاح حسن الرشيد، التلاقح الحضاري بين العرب والشعوب الإسلامية، الطبعة الأولى، دار التراث العربي، 2001، ص122.

الآسيوية والتي تتميز بالتفوق الاقتصادي كالصين على تعلم العربية لترويج بضائعها في الأسواق العربية، لاسيما أن السوق العربية تستوعب هذا الكم الهائل من البضائع التي كانت الصين تغرق به الأسواق الناطقة بالعربية، وعملية تسويق البضائع هذه والإعلانات ومحاولة التوصل والتقرب من العقل العربي لابد له من فهم الحضارة العربية والعقلية العربية وللوصول إلى هذا لابد من تعلم العربية.

3- الدافع السياسي :

بدأ الغرب (الأمريكان والأوروبيون)بإيلاء الاهتمام لتعلم اللغة العربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وجعل الحلفُ الأطلسي الإسلامَ العدو البديل وخاصة بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر واحتلال العراق وأفغانستان،وهذه التداعيات فرضت عليهم كمحتلين معرفة اللغة التي ينطقها عدوهم الجديد ليصبحوا قادرين على هزيمته في عقر داره، وخاصة أن المقولة الشائعة الصحيحة تقول: اعرف لغة عدوك تهزمه كما أن الصحوة الإسلامية والتي تفجرت في الثمانينيات في كل من (تركيا وإيران وإندونيسا وماليزيا .....)[26] ورافقها الهجمة الفكرية التي كانت تدعي نشر الحداثة ومابعدها ومحاولة إحداث التغييرات بالدين الإسلامي لجعله إسلاماً علمانياً يتوافق والمبادئ والمصالح التي يسعى الغرب لنشرها فرضت واقعاً جديداً يتطلب معرفة العربية والتعامل بها.

4 - التقارب بين اللغة الأم للمتعلم واللغة العربية :

إن هناك العديد من اللغات التي تتقارب مع اللغة العربية رغم اختلاف أبجدياتها عنها إلا أنها لغات احتوت على الكثير من الكلمات العربية في لغتها نتيجة التقارب الثقافي والحضاري والديني ولذلك فإن متحدثي هذه اللغات هم الأسهل تلقياً للعربية من غيرهم، وفيما يأتي سأستعرض نقاط التلاقي بين العربية وغيرها من اللغات:

اللغة التركية :

رغم أن اللغة التركية من جذور مختلفة إلاأنها تحتوي على كثير من الكلمات العربية نتيجة التقارب الجغرافي، إذ إن تركيا تحد بلدين عربيين وتربطها بهذين البلدين روابط اسرية وعلاقات تجارية وسياسية، والتقارب الحضاري والديني والثقافي منذ قيام الدولة العثمانية والتي حكمت العالم الإسلامي مايقارب الأربعمئة عام وخلالها تم الاستعانة بكثير من الكلمات العربية بالإضافة إلى كتابة اللغة التركية بالحروف العربية وذلك حتى عهد أتاتورك وهذا مايفسر سهولة تعلم اللغة العربية بالنسبة للطلاب غير العرب من

[26] عبدالرحمن ، أسماء ، مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ماليزيا، منتدى صوت العربية،2001، ص45

أصول تركية.

اللغة الأردية :

إن دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية واختلاط العرب المسلمين مع سكان هذه المنطقة والغزوات الفارسية لتلك المنطقة أدت هذه العوامل جميعها تغلغل العربية بلغة السكان المحليين، مع العلم أن حوالي 23% من اللغة الأردية خليط من العربية والفارسية والتركية لذا فإن اللغة الأردية من اللغات القريبة للعربية ومتحدثوها يجدون سهولةً في تعلمها.

اللغة الفارسية :

ويتحدث هذه اللغة كل من الفارسيين والأفغان والأوزبك والطاجيك وتحتوي على كم هائل من الكلمات العربية، إذ بعد أن دخلها المسلمون فاتحين وانتشار الإسلام في بلاد فارس تسربت كثير من الكلمات العربية إلى هذه اللغة بالإضافة إلى التأثر الثقافي القائم بالفعل باللغة العربية بحكم قربها وتعامل الفرس مع العرب قبل الإسلام وبعد، إذ تحتوي الفارسية اليوم مايقارب من 8000كلمة عربية تشكل 40% من كلمات هذه اللغة المستخدمة في الحياة اليومية.

السبب وراء التأثر الكبير للغة الفارسية باللغة العربية :

بعد دخول العرب لبلاد فارس عام 30 هـ - 651م إثر مصرع يزدجر في موقعة نهاوند الموقعة التي سميت بفتح الفتوح أخذ الإسلام بالانتشار انتشاراً واسعاً بين صفوف الشعب الفارسي إذ أسلم الكثير منهم في مدة قياسية وبالتالي انتشرت العربية مع انتشار الإسلام وتم استبعاد اللغة البهلوية وخطها من قبلهم؛ وذلك لأنهم ربطوا بينها وبين الزرداشتية الأمر الذي أدى إلى نفورهم منها،كما أن اللغة البهلوية كانت محصورة في فئة محدودة ألا وهي فئة الكتّاب وهذا ما سهل استبدالها باللغة العربية الجديدة كما مرت العلاقات اللغوية بين الفرس والعرب بعملية تأثير وتأثر طويلة نتج عنها تراث حضاري إنساني خصب جمع اللغتين[27].

وتكتب الفارسية بالحرف العربي ووجه الفرس كل اهتمامهم للغة العربية وخطها، وابتكروا أنواعاً جديدة من الخطوط وتبوأت دراسة اللغة العربية أعظم المكانة منذ العصور الأولى للإسلام كونها لغة الدين والدولة وكانت اللغة العربية تعلم في بلادهم من الكتّاب وحتى المدارس العليا .

هذا وقد أحصى أحد الباحثين عدد الكلمات العربية المستخدمة في النصوص التراثية الفارسية وقالوا

[27] سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، ط 2، دار الفكر، 1971، ص165

بأنهم قد وجدوا أن عدد المفردات العربية المستخدمة في الصفحة الأولى لكتاب البيهقي مئة وخمساً من الكلمات العربية من أصل مئتين وستةوخمسين كلمة فارسيةفي الصفحة الواحدة ،كما يؤكد العلامة حسين مجيب المصري أن كثرة الألفاظ العربية أمر ملاحظ على حد سواء في كل من النصوص القديمة والحديثة، كما أنه قال إن هذه الألفاظ لدى استخدامها كانت إما أن تحافظ على معناها كما هو في العربية وإما أن تأتي بمعنى جديد ليس موجوداً في اللغة العربية ويمكن متابعة هذه الألفاظ وتزايدها في الفارسية على امتداد الأزمنة[28].

ومن هنا يمكن أن نقول بأن اللغة الفارسية قد عاشت مع العربية وتعايشت معها وتفاعلتا سوياً.

مع أن اللغات السابقة هي اللغات الأقرب للعربية وناطقوها هم من أكثر المتعلمين الذين يحققون تقدماً باللغة العربية عند تعلمها إلا أن هناك المزيد من اللغات التي تحتوي الكثير من الكلمات العربية كاللغات المالطية، والكردية، والهندية والسواحلية والإندونيسية.

5- الصعوبات التي يواجهها غير العرب في تعلم العربية:

إن تعلم لغة ثانية أمر ليس بالسهولة التي يمكن تصورها والحال كذلك بالنسبة لتعلم اللغة العربية فلابد من التعرض للصعوبات التي يمكن تخطيها مع وجود الإرادة والرغبة في التعلم أما هذه الصعوبات فتقسم بحسب نوعها إلى قسمين:

الصعوبات اللغوية: وتتعلق بطبيعة اللغة من حيث نظامها القواعدي والنحوي والصرفي وهو أمر مستهجن عند الطلاب غير العرب الذين لا تحوي لغاتهم على هذه الخواص التي تتمتع بها هذه اللغة وبالتالي إلى نفورهم من القواعد والإعراب وعدم فهم جدواها[29].

الصعوبات غير اللغوية : وتعود هذه الصعوبات إلى الطالب المتعلم ورغبته وقدرته على الحفظ وتلقي المفردات وكذلك للمدرسين الذين يقومون بتدريس هذه اللغة وعدم اعتمادهم مناهج معتمدة في التدريس.

ومن الملاحظ أن قدماء علماء العربية وأدبائها تناولوا هذا الموضوع بصعوباته، فالجاحظطرح نظرية التدرج في سرعة وسهولة تلقي الطلاب غير العرب للعربية،وكذلك ابن حزم الأندلسي الذي قال إنه لا جدوى من إغراق الطلاب بالقواعد النحوية والصرفية الكثيرة لأنها تزيد من صعوبة التعلم[30].

6 –الغزو الثقافي وعلاقته باللغة العربية:

---

[28] أهمية الكتابة في حياة الشعوب – طلال مشعل – 2015، ص215

[29] المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ للدكتور/ علي مدكور وآخرين، منشور في دار الفكر العربي، ص74

[30] مصطفى عليان، ابن حزم والنحو الظاهري، مجلة الفيصل ع 110، السعودية، نيسان/ أيار 1986، ص36.

إن العولمة التي تسود عالمنا في هذا الزمن كانت عنصراً أساسياً في انتشار اللغات ولاسيما اللغة العربية وماينجم عن هذا من فوائد مادية واقتصادية فالأوضاع الحالية أصبحت تتيح للشباب وأجيال اليوم أن يسافروا إلى بلدان مختلفة والتنقل بين قارات العالم بهدف الاستكشاف وتلقي العلم،بالإضافةإلى أن الوضع المعيشي الاقتصادي يتطلب السفر بحثاً عن موارد للرزق،كل هذا أثّر على عقليات أبناء هذا الجيل وجعلها أكثر تفتّحاً وتهيئاً لتلقي اللغات والاستفادة منها وتعدد اللغات يساعد على التطور والرقي من الهوية الوطنية إلى القومية فالحضارية فالإنسانية.

بالإضافة إلى انتشار القنوات الفضائية التي أدت إلى انتشار الثقافات واللغات في جميع أنحاء العالم، والمعاهد التي تعنى بتدريس اللغات والتي أصبحت واسعة الانتشار في جميع بقاع العالم الأمر الذي ساعد أيضاً في نشر اللغات واللغة العربية على وجه الخصوص،لاسيما معاهد تحفيظ القرآن والتجويد والمعاهد الدينية الإسلاميةالتي ساعدت على نشر اللغة العربية ونشر التعاليم الدينية وشرح القرآن الكريم المكتوب باللغة العربية، وهذا أيضاً كان عاملاً في نشر اللغة العربية في الأوساط الأجنبية[31].

الاهتمام الذي أولاه علماء ومثقفو أوروبا للغة العربية :

اهتم الغرب في العصر الحديث بالتراث العربي والإسلامي،إذ جمع المستشرقون كثيراً منالمخطوطات العربية الإسلامية والمؤلفات وقاموا بدراستها وفهرستها ونشرها وتمت ترجمة الآلاف من هذه المخطوطات إلى لغات عالمية كما تأسست كراسي لتعليم العربية والحضارة والتاريخ الإسلاميين كتلك التي أنشأها مجمع فيينا الكنسي في كل من باريس وبولونيا عام 1312م والكرسي الذي قام في جامعة كامبردج عام 1636م كما قام المستشرقون بطرح الكتب العربية كمؤلفات ابن سينا وابن رشد والتي ظلت تدرس هذه المناهج حتى نهاية القرن الخامس العشر[32].

وأقامت فرنسا معاهد لتدريس اللغة العربية مثل ريمس وشارتر كما أقيم للغة العربية في باريس كرسي للغة العربية وآخر للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون وألحق بها معهد للدراسات الإسلامية ولا زالت السوربون ذات دور فاعل في الدراسات الإسلامية.

هذا وقد برز المستشرق سيمون أوكلي الذي أخذ على عاتقه تدريس اللغة العربية في جامعة كامبريدج 1711 كما ألف كتاباً شهيراً حول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام أسماه (تاريخ المسلمين)

---

[31] كراتشكوفسي، تاريخ الاستعراب الروسي، منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي لينغراد عام 1950، ص119

[32] سيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب ، وأنخل بالنيثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس طبعة مكتبة النهضة المصرية، ص310

أما في روسيا فقد احتلت اللغة العربية المكانة الأولى بين اللغات الشرقية –لغات الشرق الإسلامي في نظرهم – كما أصدر قرار بتعليم اللغة العربية في قسم خاص يعنى بتدريسها في جامعة خاركوف 1804 م ومن أشهر المستشرقين الروس كراتشكوفسي الذي شغف بدراسة اللغة العربية وقام بالسفر إلى عدد من البلاد العربية منها سورية وفلسطين والعراق ومصر ثم عاد إلى بلاده وعين مدرساً للغة العربية[33].

الخاتمة: إن اختلاف تلقي غير العرب للغة العربية يعود إلى اختلاف حضاراتهم وثقافاتهم واستعدادهم النفسي والرغبة في تعلم اللغة العربية، كلها دوافع وعوامل تسببت في التغاير والتفاوت الكبير بين الطلاب غير العرب الراغبين في تعلم العربية.

وخاصة أن الطلاب الذين يتمتعون بثقافة إسلامية أو يحفظون بعضاً من القرآن الكريم والكلمات العربية كالطلاب الباكستانيين والفرس والأتراك والإندونسيين هم الطلاب الأسرع ويتلقون العربية بطريقة أسهل من غيرهم من الطلاب الذين يحملون الجنسيات الأخرى وينطقون بلغات أخرى وهذا طبعاً نتيجة ثقافتهم المتأثرة بالدين الإسلامي والثقافة العربية ونتيجة الاختلاط الثقافي والسياسي والديني.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004، ط1.
- ابن جني، أبو الفتح، المحتسب، دار صادر، بيروت.
- الفارابي، ديوان الأدب، تح أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2003.
- الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
- صلاح حسن الرشيد، التلاقح الحضاري بين العرب والشعوب الإسلامية، الطبعة الأولى، دار التراث العربي، 2001.
- عبد الرحمن، أسماء، مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ماليزيا، منتدى صوت العربية، 2001.
- سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، ط2، دار الفكر، 1971.
- أهمية الكتابة في حياة الشعوب– طلال مشعل– 2015.
- المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ للدكتور/ علي مدكور وآخرين، منشور في دار الفكر العربي.
- مصطفى عليان، ابن حزم والنحو الظاهري، مجلة الفيصل ع110، السعودية، نيسان/ أيار 1986.
- كراتشكوفسي، تاريخ الاستعراب الروسي، منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي لينغراد عام 1950.
- سيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، وأنحل بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس طبعة مكتبة النهضة المصرية.

[33] كراتشكوفسي، تاريخ الاستعراب الروسي ص150

تطور وترويج علم الدلالة و المعجمية العربية في الهند

محمدعيسى*

الملخص:

يهدف هذاالبحث إلى دراسة ما بذله العلماء الهنود من جهود في ترويج علم الدلالة والمعجمية العربية بدءا من الجهود المبكرة إلى بداية القرن الحادي والعشرين والذي يتوزع إلى أربعة أنواع[34]:

النوع الأول: مؤلفات مستقلة في المعجمية العربية

النوع الثاني: مؤلفات مستقلة في المعجمية العربية ولكنها تعالجا فنا خاصا من الفنون

النوع الثالث: مؤلفات تعالج علم الدلالة العربية ولكنها ليست مؤلفات مستقلة في الموضوع

النوع الرابع: مؤلفات تعالج الاشتقاق والمعرب والمولد والدخيل

علما بأن هذا البحث سيسجل ويدون الملاحظات عن مجهودت علماء الهنود مباشرة على أساس استقراء الملكتبات العامة أو المكتبات الشخصية لا على أساس المعلومات المتوفرة في الكتب والمجلات والدوريات العادية أوالإلكترونية ويمرمرا سريعا عن المؤلفات ولوكانت جديرة بالذكر إذا لم تسنح الفرصة لكاتب هذ البحث رؤيتها والاستفادة منها مباشرة.

قد خلف العلماء الهنود إرثا عظيما في مضمارعلم الدلالة والمعجمية العربية وتسترعي إنجازاتهم انتباه المثقفين العرب وغيرالعرب على السواء وسأذكرعلى سبيل المثال لا على الحصر" العباب الزاخروالباب الفاخر" للإمام حسن بن محمد الصغاني اللاهوري(ت650هـ) و"مجمع بحارالأنوارفي غرائب "التنزيل ولطائف الأخبار" لمحمدطاهر(ت986هـ)و"تاج العروس من جواهرالقاموس والتكملة والذيل والصلة لمافات صاحب القاموس من اللغة" للعلامة مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205هـ) و"كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" لمحمد بن على التهانوي(ت 1191هـ/1777م) و"فقه اللسان" في مقدمة ومجلدين لكرامت حسين الكنتوري و"البلغة في

[34]- هذا التقسيم ليس من الناحية الفنية للمعجمية العربية بل من ناحية المؤلفات المتوفرة في الموضوع

أصول اللغة" و"العلم الخفاق من علم الاشتقاق" و"لف القماط على تصحيح بعض مااستعملته العامة من المعرب والدخيل والمولدوالأغلاط" للنواب صديق حسن خان و"المبين" في فقه اللغة للشيخ سليمان أشرف وبعض المباحث في "نقوش سليماني" و"لغات جديدة" للعلامة سيد سليمان الندوي و"الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها" و"معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها" و"تحقيق المُعَرَّب" للجواليقي و"القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل" و "سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل" و" پرده اٹھادوں اگر چہرہ الفاظ سے" كلها للأستاذ ف، عبد الرحيم وغير ذلك الكثير من المؤلفات.

الكلمات المفتاحية:علم الدلالة العربية في الهند،المعجمية العربية في الهند، الهنود والمعجمية العربية.

The aim of this paper is to highlight the endeavor and efforts made by Indian scholars in field of lexicography from their first attempt till the beginning of twenty first century. Their contribution could be classified in four major groups.

This paper is made out of direct literature survey from public as well as personal libraries not on the basis of knowledge and information available about these contributions in books, journals and periodicals. The author will pass from such books even if it is important if he could not see it himself.

Indians have authored several highly-acclaimed books in this field like "Kashshafu Istelahat-e-Uloom-W-alfonoon" (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) by Mohammad Thanwi and"Majmao biharil Anwar"(مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار) by Tahir Patni and Alobab Azzakhir wallubab Alfakhir (العباب الزاخر واللباب الفاخر) by Raziuddin Seghani and, etc.

المقدمة:

ستحاول هذه الدراسة المتواضعة استعراض وتقييم إسهامات العلماء الهنود في علم الدلالة والمعجمية العربية في أربعة مباحث: سيعالج المبحث الأول المؤلفات المستقلة في المعجمية العربية بالدراسة والتحليل، بينما يتناول المبحث الثاني مؤلفات مستقلة في المعجمية العربية التي تشتمل على فن خاص من الفنون، وأما المبحث الثالث فهو في مؤلفات تعالج علم الدلالة العربية ولكنها ليست مؤلفات مستقلة في الموضوع. والمبحث الرابع يدرس مؤلفات تعالج المعجمية العربية إلى معالجة الاشتقاق والمعرب والمولد والدخيل.

المبحث الأول في المؤلفات المستقلة في المعجمية العربية

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم[35]

ألف هذه الموسوعة المسماة بـ"كشاف اصطلاحات الفنون" محمدبن علي ابن القاضي التهانوي بالفارسية والعربية وفرغ من تأليفه سنة 1158 هـ كما ورد في المقدمة.

علل التهانوي سبب تأليفه لهذ االكشاف في المقدمة"إن أكثرمايُحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة والفنون المروَّجةإلى الأساتذة هواشتباه الاصطلاح،فإن لكل علم اصطلاحاًخاصاًبه إذالم يعلم بذلك لايتيسّرللشارع فيه الاهتداءُإليه سبيلاً ولاإلى انقسامه دليلاً،فطريق علمه إما بالرجوع إليهم أو إلى الكتب التي جمع فيها اللغات المصطلحة.ولم أجدكتاباًحاوياًلاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين الناس وغيرها.وقدكان يختلج في صدري أوان التحصيل أن أؤلّف كتاباًحاوياًلاصطلاحات جميع العلوم،كافياًللمتعلم من الرجوع إلى الأساتذةالعالِمين بها"[36].

والكتاب كما أشار المؤلف في المقدمة هو عبارة عن موسوعة للمصطلحات العلمية والفنية،رتبه العلامة التهانوي حسب حروف الهجاء على فنين:الأول في الألفاظ العربية والثاني في الألفاظ الأعجمية.

ترجمت الموسوعة كاملاإلى العربية تحت عنوان موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم في جزئين وهما يحتويان على 2134 صفحة.المقدمة الأولى للكتاب تأتي في صفحة ونصف.أما المقدمة الثانية في بيان العلوم المدونة ومايتعلق بها فهي في 67 صفحة.

النسخة المحققة والمنقحة التي بين أيدينا الآن قد قدم لها وراجع وأشرف عليها الدكتور رفيق العجم وقام بتحقيقها الدكتور علي دحروج ونقل النص الفارسي إلى العربية الدكتور عبدالله الخالدي وقام الدكتور جورج زيناني بالترجمة إلى الفرنسية والإنجليزية.نشرت مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى منها عام 1996 في جزئين.

مصباح اللغات[37]

يرجع الفضل في إعداد هذاالعمل الجليل المتداول الشهير بين الطلاب والأساتذة على السواء إلى الأستاذ اللغوي عبدالحفيظ البلياوي."وإنه راعى في إعداد هذاالقاموس نفس الأسلوب الذي اعتمد عليه معلوف يسوعي في قاموسه المعروف "المنجد" وذكرمعاني الكلمات وتفاصيلها النحوية واشتقاقها الصرفي باللغة الأردية ليتيسرلدى الطلبة ذوي المقدرة الأدنى

[35]- التهانوي محمد بن علي:كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (مكتبة لبنان ناشرون،1996 الطبعة الأولى)

[36]- التهانوي محمد بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (مكتبة لبنان ناشرون،1996 الطبعة الأولى)، المقدمة، ص: 1 بتغيير يسير

[37]- البلياوي عبدالحفيظ: مصباح اللغات، (مكتبة ندوة المصنفين دلهي)، الطبعة الأولى

باللغة العربية في المدارس والجامعات حل العبارات العويصة الواردة في كتبهم الدراسية، واستفاد المؤلف في إعداده من كتب مشهورة من أمثال "لسان العرب" لابن منظورو"تاج العروس"من جواهر القاموس" للمرتضى الزبيدي وأقرب الموارد للشرتوني ومفردات القرآن (للراغب الأصفهاني) و"النهاية" لابن الأثيرو أساس البلاغة (للزمخشري) و"جمهرة اللغة" (لابن دريد) والمخصص (ابن سيده).

أكمل المؤلف تأليف هذاالقاموس في أربعينيات القرن العشرين، وصدرت طبعته الأولى من مكتبة ندوة المصنفين في دلهي في مستهل الخمسينات،وحتى الآن قد صدرلهذا القاموس عشرات الطبعات من مكتبات هندية،لأنه مامن طالب في مدرسة إسلامية في الهند إلا وهو يستفيد من هذا القاموس.

يستوعب هذاالقاموس أكثرمن 50 ألف كلمة ويشرح مدلولات الكلمة العربية بالأردية السهلة المفهومة،ومن هنا يحتل هذا القاموس مكان الصدارة بين القواميس المتداولة في الهند بين طلاب اللغة العربية. رتب الأستاذ قاموسه على الترتيب الألفبائي برد الكلمة إلى الجذروتجريدها من الزوائد.

أردو-عربي ڈکشنري[38]

وللأستاذ اللغوي عبدالحفيظ البلياوي قاموس آخر باسم أردو-عربي ڈکشنري،ظهرهذا القاموس الأول من نوعه في يونيو، 1954 من مطبعة نامي، لكناؤ ويشتمل على 480 صفحة بما فيها المقدمة.

وقدم لهذاالقاموس الشيخ أبوالحسن علي الندوي مسلطا الضوء على أهمية المعاجم والقواميس ونوه بالجهد الذي بذله المؤلف وذكر بأنه كان لا يوجد معجم من الأردية إلى العربية،يوفي حاجات المترجم والحاجات التعليمية لطالب اللغة العربية في أيام دراستنا والأستاذ البلياوي يستحق الشكر والثناء من المعلمين والطلبة على هذاالعمل الجميل بأنه رتب وألف هذاالمعجم كما أشار المؤلف في المقدمة إلى أنه كان دائما يبحث عن معجم من الأردية إلى العربية إلى أن هُدي إلى كتاب " منتخب النفائس" ولكنه لا يوفي حاجاته العلمية. ثانيا هُدي إلى " لغات فيروزي" وهذا كان أجدى وأنفع من المعجم السابق، ولكنه أيضاً لم يوف الغرض المطلوب والبغية المنشودة للكاتب فتهيأ المؤلف لسد هذاالفراغ وعمل على هذا المشروع ولكن مسودته

[38]- البلياوي عبدالحفيظ: أردو-عربي ڈکشنري،(مطبعة نامي، لكناؤ،1954م)

قد ضاعت في مدرسة مصباح العلوم ببريلي. وبعد طباعة مصباح اللغات أصر الأصدقاء على مشروعه السابق الذي ضاعت مخطوطته فعمل عليه.

استهل المؤلف المعجم بذكر المذكر والمؤنث ثم بالكنية ثم شرع بالهجاء وذكر الكلمات الأردية وذكر مقابلها العربية والجمع في باب الأسماء والمصادر والأبواب والصلات في باب الأفعال.

القاموس الوحيد[39]

هذا قاموس ضخم في مجلدين من العربية إلي الأردية. أعده الأستاذ الكيرانوي واعتمد في إعداد هذا القاموس على "المعجم الوسيط" الصادر من مجمع اللغة العربية بمصر و"المنجد" لمعلوف يسوعي الصادر من بيروت ،لبنان واستفاد من "قاموس القران " و "لغات القران "في تشريح مصطلحات القرآن والسنة وفي مصطلحات العلوم الإسلامية،وراجع "مفردات القرآن للراغب الأصفهاني" و "تاج العروس" لمرتضى الزبيدي واستفاد من" المورد" (العربي الإنكليزي) لمنيرالبعلبكي و"القاموس العصري" (العربي- الإنكليزي) لإلياس أنطون و "القاموس الإقتصادي" لحسن النجفي و "القاموس الطبي" و"القاموس العسكري "وحاول كل المحاولة للإحاطة بالمصطلحات العصرية الرائجة ومالابد منهافي عصرناهذا.

لقد اهتم الأستاذ الكيرانوي بالاختصار في ذكر الأبواب فإنه ذكر بابا واحدا للفعل الذي لا يتغير معناه بتغير الأبواب و كذلك أورد تفصيلا عن الفعل الذي يتغير معناه بتغير الأبواب.

قدم الأفعال على الأسماء والفعل المجرد على المزيد ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي و المعنى الحقيقي على المعنى المجازي والفعل اللازم على الفعل المتعدي في ترتيب الأفعال والأسماء.

كثر استخدام هذاالقاموس لاستيعابه وشموله لأنه يستوفي أكثر حاجات الطلبة اللغوية والمعجمية ويغني هذاالقاموس الطلبة عن القواميس الأخرى إذ أنه يمتاز باحتوائه على القواميس الجديدة، وبيان الصلات لكل مادة، وذكر المحاورات العربية القديمة والجديدة.

بالإضافة إلى هذا له خصائص أخرى تميزه عن القواميس الأخرى. يقع في 1918صفحة،طبع في 2001م من «إدارة إسلاميات» بديوبند وظهرت طبعته الجديدة في مجلد واحد.

المنجد (عربي- أردو)[40]

ساهم في إعداد وإخراج هذاالقاموس العربي إلى الأردية مجموعة من العلماء المتخصصين

[39]- وحيدالزمان الكيرانوي: القاموس الوحيد،(إدارة إسلاميات ،ديوبند،2001م)

[40]- المعلوف: المنجد، تر: فريق مكون من الشيخ سعد حسن خان يوسفي الندوي وغيره (مركزي إدارة تبليغ دينيات،المسجد الجامع، سنة النشر غير مذكور)

والأساتذة الجامعيين.

قام بنقله إلى الأردية فريق مكون من الشيخ سعد حسن خان يوسفي الندوي والبروفيسور عبد الصمد صارم الأزهري والأستاذ سيد حسن القاسمي والبروفيسور محبوب إلهي القاسمي والشيخ أحمد القاسمي والأستاذ رشيد أحمد أرشد وراجعه وحققه الشيخ سبحان محمود المظاهري وصححه الشيخ ظهور أحمد القاسمي والشيخ أصلح الحسيني القاسمي والشيخ مولى حسن القاسمي وقدم له سماحة المفتي محمد شفيع وتناول فيها أصول اللغة وجعل "البُلغة في أصول اللغة" للنواب صديق حسن خان أساسا لمقدمته وكتب ما كتب فيها حول تاريخ اللغات وأصل اللغات وخصائص اللغة العربية وسعتها وجامعيتها وعن تدوين اللغة العربية و الكلمات المعربة والدخيلة وأيضاً قدم قائمة وجيزة للقواميس والمعاجم المؤلفة في العربية وتحدث عن ضوابط المعجمية وأخيرا تكلم عن "المنجد" متناولا محاسنه ونقائصه وعن الأشياء التي أدخلها المؤلف "المعلوف" من عقائده المسيحية و ذكر فيها أيضاً بعض القواعد الصرفية التي يحتاج إليها الإنسان عند الاستفادة من القواميس.

والقاموس مرتب كمايلي:

عرض الناشر (2) رموز وإشارات (3) مقدمة علمية (4) معرفة بعض القواعد الصرفية الضرورية (4) نشأة اللغة (6) المحاورات والأمثال (7) القواميس الجديدة في اللغة العربية (8) الصور مع الكلمات العربية.

وأيضاً أضيف إلى هذاالقاموس، المحاورات والأمثال وهي منتشرة من صفحة رقم 1155 حتى 1232 صفحة وفيه حوالى 1644 من الأمثال. وأتبع الأمثال عنوانا بـ" لغات جديدة" وأورد فيه الكلمات المستعملة غير المتداولة في العربية الكلاسيكية في البلدان العربية والمنتخبة من المنجد (طبعة جديدة) والقاموس العصري والجرائد العربية. وهي تبدأ من صفحة 1233 وتنتهي إلى 1260 صفحة ثم الكلمات العربية مع الصور من 1261 صفحة حتى 1285 صفحة.

نشره مركزي إدارة تبليغ دينيات،المسجد الجامع،دلهي ولا يحمل القاموس تاريخا للنشر ولكن المقدمة مؤرخة بـ 7 رجب المرجب 1379 هـ- 1959م.

سنگم[41]

قاموس ثلاثي اللغات (الإنجليزية-العربية- الأردية) ظهرت طبعته الأولى عام 2005 من مكتبة

[41]- الأستاذ عزيز الرحمن: سنگم، (مكتبة الفردوس،مكارم ناغر،بروليا،لكناؤ، الطبعة الأولى 2005)

الفردوس،مكارم ناغر،بروليا،لكناؤ.

أبدى علماء الهند اهتمامهم باللغة العربية من نواحي عديدة فألفوا معاجم عربية وفارسية وعربية وأردية وترجموا بعض المعاجم العربية إلى اللغة الفارسية والأردية، وهي كثيرة وقد صدرت مثل هذه المعاجم في مختلف العصور وقد تصعد النشاط اللغوي فألف الكثيرون مثل العلامة السيد سليمان الندوي والأستاذ عبد الحفيظ البلياوي وآخرون.

ولكن كانت هذه المحاولات ثنائية اللغة أي عربية-أردية أو عربية-فارسية وبالعكس ولكن الأستاذ اللغوي عزيز الرحمن أضاف لغة ثالثة وجعله قاموسه ثلاثي اللغات وهذا ما يميزه من المعاجم الأخرى.

جعل أساس عمله "المورد" وأضاف إليه الأردية وهو مجهود مبتكر،لأنه لا توجد معاجم ثلاثية اللغات بوجه عام. والأستاذ عزيز الرحمن بهذا المجهود سهل عمل تعلم اللغة الأردية للناطقين بالعربية والإنجليزية الذين لا يعرفون الأردية. المجلد الأول يشتمل على 787 صفحة والثاني على 888 صفحة والثالث على 603 صفحة.

وهناك قواميس ومعاجم أخرى تأتي في هذاالضمن ولكن حذفتها مخافة الطوالة.

المبحث الثاني في المؤلفات المستقلة في المعجمية العربية ولكنها تعالجا فنا خاصا من الفنون

المبتكرفي بيان مايتعلق بالمؤنث والمذكر[42]

هذا المؤلف الأنيق المبتكر ينتمي إلى اللغوي الهندي البارع أبوالحسن السيد ذو الفقار أحمد النقوي ويعالج هذاالكتاب أحد أبواب النحو الغامضة في مسألة التذكيروالتأنيث ويسن له ضوابط. وقد استخرجها مؤلفه اللغوي من كتب اللغويين العرب البارزين. تم طباعته بالمطبع الشاهجهاني،بهوبال، سنة1286 ه الموافق1880م في 609 صفحة، شاملة الحواشي والمحتويات وفهرس الأخطاء.

الطبعة الأولى التي جعلتها أساسا للبحث هي موجودة في مكتبة أبو الكلام آزادبجامعة على جراه الإسلامية.

وقد نشرته أيضاً مؤسسة الانتشار العربي- بيروت عام 1997 لأول مرة على أساس الطبعة الحجرية الهندية وهذه الطبعة متداولة الآن. ولكنهم فصلوا القسم الذي يناقش القضايا

[42]- أبوالحسن السيد ذوالفقارأحمد النقوي، المبتكرفي بيان مايتعلق بالمؤنث والمذكر،(المطبع الشاهجهاني،بهوبال،1880م)

المتعلقة بالمرأة والرجل.

والكتاب في الأصل معجم في التذكير والتأنيث ولكن مؤلفه توسع في القضايا المتعلقة بالمرأة والرجل فقام المهتمون بنشر الكتاب في مؤسسة الانتشار العربي بفصل هذا القسم عن المعجم لكي لا يتداخل موضوع الأدبي والطريف مع طبيعة المعالجة اللغوية في المعجم الأساسي،ونشروه في كتاب مستقل باسم "بهجة النظر في بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر" لأنه حسب صراحة القائمين بنشره يحتوي بالفعل على كل مايبعث البهجةفي القراءةوالمتعةفي المتابعة.

عربي لغات فيروزي[43]

نشره لاله عطرچندر كپور إينڈ سنز تاجران كتب،أناركلي،لاهور وتم طباعته في هندوستان استيم بريس، لاهور عام 1907 .

يقول مؤلفه المولوي فيروز الدين فيروز ڈسكوي، المدرس الأول في فارسي إيم بي هائي إسكول،سيالكوت في مقدمته للقاموس وهي مقدمة منظومة في العربية ومترجمة أيضاً إلى اللغة الأردية في مقدمة ثانية تليها بأن المؤلف رحمه الله كان معجبا باللغة العربية ولكنه لم يجد قاموسا يوضح معاني العربية في الأردية فقام بتأليف هذاالقاموس الذي يغني الطالب عن الاستعانة بالآخرين ويفيد المبتدئين ويكفي للكبار أيضاً.وهذه المقدمة المنظومة تشمل ثلاث صفحات.

وتليها المقدمة الثانية في الأردية في سبع صفحات،نوه فيه المؤلف الحكومة الإنجليزية البريطانية ومنها الكريمة في مجال التعليم ثم أشاد باللغة العربية وسلط الضوء على فصاحتها ومجدها وسعتها وقدم الأمثال على هذه الميزات اللغوية في العربية.

وأعرب استياءه بأن اللغة مع عذوبتها وفصاحتها وبلاغتها لم تكن ثمة قاموس لها من العربية إلى الأردية مع أن هناك قواميس عديدة في الفارسية.

في بداية الأمر أراد أن يكتفي بذكر مسرد الكلمات المعنية في حل المقررات الدراسية العربية في المدارس الرسمية آنذاك ولكن الشيخ المولوي أصغر علي، البروفيسور في الكلية الإسلامية بلاهور أشار عليه إلى إعداد قاموس عام مما يعين الطلبة في المرحلة المتوسطة والمرحلة العالية خاصة ويكفي لطلبة الكلية عامة.

قسم المؤلف القاموس إلى ثلاثة أقسام:

---

[43]- المولوي فيروز الدين فيروز ڈسكوي: عربي لغات فيروزي، (هندوستان استيم بريس، لاهور 1907 م)

الجزء الأول: الكلمات العربية وبديلها في الأردية

الجزء الثاني: الأمثال العربية بترتيب حروف الهجاء

الجزء الثالث: الكلمات الأردية وبديلها في العربية، لكي يعين الطلبة في ترجمة المعاني الأردية إلى العربية فلا يحتاجون إلى كتب أخرى للتدريب على التكلم وأشار أيضاً إلى مادة الكلمات عند كتابة معاني الكلمات العربية.

وقد رتبه المؤلف رحمه الله على الترتيب الألفبائي وذكر الكلمات العربية كما هي مذكورة في المقررات العربية دون إرجاعها إلى المادة أو الماضي أو المصدر،وفقا للقواميس الإنجليزية وأورد أيضاً الكلمات القرآنية وغيرها وأورد في الأخير الكلمات المستخدمة المحلية في بلاد مصر والشام.

وجدت هذ االقاموس في مكتبة ندوة العلماء،لكناؤ و رأيت النسخة المماثلة لها في مكتبة خدابخش الشرقية،بتنه،بيهار أيضا.

وقد سبق بأن المؤلف نشر "فارسي لغات فيروزي" وأردو لغات فيروزي"

مفردات القرآن[44]

صدر هذا الكتاب بتحقيق وشرح الدكتورمحمدأجمل أيوب الإصلاحي من الدائرة الحميدية عام 2004 وينطوي على 476 صفحة.

"كان هذا الكتاب في الحقيقة جزءا من المشروع القرآني العظيم للفراهي المشتمل على اثني عشر كتابا، وكان كتاب المفردات أول الكتب الثلاثة التي ألفها لتمهيد الطريق إلى فهم القرآن على الوجه الصحيح".[45]

من المؤسف أن هذاالكتاب من الكتب التي لم يقدر للمؤلف أن يكملها على الوجه الذي أراده، ولكن قيمته العلمية لاتخفى على من له إلمام بكتب المفردات وغريب القرآن." إنه ليس من نوع التأليف المكرر الذي قصد به التهذيب والتيسير، وإنما هو كتاب أصيل يحفل بنظرات جديدة وتحقيقات بارعة وفوائد نفسية تخلو منها الكتب الأخرى، فهو على صغر حجمه وقلة مادته يعد أفضل الكتب المصنفة في بابه".[46]

بين المؤلف فيه معاني ألفاظ القرآن الهامة ووضح المفهوم الصحيح، وأثبت أن القرآن ليست فيه ألفاظ غريبة وهومنقطع النظير في النظم والنسق، وجمع فيه 77 كلمة مافسرها

---

[44]-حميد الدين الفراهي: مفردات القرآن [تحقيق وشرح: أجمل أيوب الإصلاحي] (الدائرة الحميدية 2004 م)

[45]- المرجع نفسه ص: 50

[46]- المرجع نفسه:ص: 68

العلماء بطريق صحيحة أو وقعوا في الخطاء عند تفسيرها وشرحها وقد أوضح الفراهي معاني هذه الألفاظ وأتى بالشواهد من القرآن الكريم والصحائف السابقة وأشعار العرب.[47]

قاموس ألفاظ القرآن الكريم Vocabulary of the Holy Quran[48]

أعد هذا القاموس الأستاذ عبدالله عباس الندوي لمن تثقفوا باللغة الإنجليزية ولا يفهمون اللغة الأردية.

وهو يحتوي على 896 صفحة وقد صدرت له حتى الآن أكثرمن عشرطبعات من بيروت وجدة والسنغافورة وكوالالمفوروكراتشي والطبعة التي بين أيدينا الآن هي طبعة هندية اهتم بنشره الشيخ عبدالكريم باريك بواسطة "فريد بك دبو" (مكتبة فريد) دلهي.

"قام المؤلف فيه بشرح الكلمات الواردة في القرآن من حيث معناها وسياقها في الآيات،مع الإشارة إلى وضع كل كلمة وحركاتها الثلاث من الرفع والنصب والجر، ورتبه طبقا للمجرد الثلاثي على الترتيب الهجائي وسرد مع كل كلمة آية قرآنية أوجزأ منها،فأشار إلى اشتقاق تلك الكلمة طبقا لقواعد التصريف. وبجانب ذلك جاء بترجمة معانيها المختلفة بالإنجليزية، مع الإشارة إلى السورة التي ذكر اسمها ورقمها "[49].

استفادالمؤلف في إعداده ووضعه من جامع البيان والكشاف وتفسيرالقرآن العظيم لإبن كثيرو راجع للمفردات "لسان العرب"لابن منظور و"المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني وأقرب الموارد وغيرها.

معجم الأضداد[50]

هذا المؤلف ينتمي إلى الأستاذ طاهر الإسلام القاسمي ويقع في248 صفحة. ظهرت طبعته الأولى عام 1427 / 2006 من "دار المعارف" ديوبند،سهارنفور، الهند. والمعجم مزدان بمقدمة من الأستاذ محمد ساجد القاسمي وكلمة المؤلف والإهداء.

تنوع اهتمام المهتمين باللغة العربية وتعدد ومن هذاالتنوع إعداد المعاجم والقواميس على مناهج مختلفة وطرق شتى. فمنهم من جمع المفردات حسب المعاني ومنهم من راعى الترتيب الأبجدي ومنهم من راعى الحرف الأخيرومنهم من اعتمد على الأصوات ومنهم من كتب حسب الترداف والأضداد.

---

[47] - محمدسلطان محي الدين[الدكتور]:علماء العربية ومساهمتهم في الأدب العربي في العهد الأصفجاهي، (الناشروسنة الطبع غيرمذكور)ص:169

48- عبد الله عباس الندوي [الدكتور]: قاموس ألفاظ القرآن الكريم: فريد بك دبو" (مكتبة فريد) دلهي، سنة الطبع غير مذكور

[49] - المرجع نفسه، المقدمة.

[50] - طاهر الإسلام القاسمي: معجم الأضداد، (دار المعارف، ديوبند، سهارنفور، 1427 هـ/ 2006 م).

والمعجم الذي تحت الدراسة الآن هو أيضاً ينتمي إلى طراز خاص من المعجمية العربية، فقد قدم المؤلف أولا الكلمات ثم تناولها بالشرح وأتى مقابلها للكلمات المضادة لها في المعنى واستخدم الكلمات كما هي بدون إرجاعها إلى أصل الكلمة أو مفرداتها بل تركها كما هي و ربما هي في جملة مثل احمر الوجه و هكذا. راعى المؤلف في هذا المعجم الترتيب الألفبائي بدون إرجاعها إلى المادة أو أصل الكلمة.

قد جمع علماء اللغة مثل هذه الكلمات في رسائل مستقلة مثل الحاتم السجستاني وابن الأنباري والأصمعي وغيرهم.

هذا المعجم يختلف عما سبقه من المعاجم بحيث أن هذاالمعجم قد جمع فيه فقط تلك الألفاظ المضادة أولها بأخراها معنا والإتيان بمثل هذه الكلمات في النثر أو النظم من الأساليب المعروفة ويعد من المحسنات البديعية وصنعة الطباق والمقابلة وهذاالأسلوب شائع في القرآن والحديث والشعر العربي حتى الأردي. قال الله تبارك وتعالى:﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ (الكهف: 18)

والمؤلف لم يشر إلى كتاب راجعه أو جعله أساسا لهذا المعجم الفريد من نوعه في اللغة الأردية وقد جعل شكل الكلمات والنطق أساسا لترتيب الكلمات وهو في الحقيقة حسب الترتيب الألفبائي حسبما ظهر لي خلال قراءته.

والكتاب سهل الاستفادة لا يوجد فيه أي إشارات أو رموز أو غموض، ربما يقدر القاري على قراءته في يومين أو ثلاثة أيام كمطالعة الكتب العادية.

المبحث الثالث في مؤلفات تعالج علم الدلالة العربية ولكنها ليست مؤلفات مستقلة في الموضوع

المبين في فقه اللغة العربية[51]

صدرت الطبعة الأولى لهذاالكتاب من مطبعةجامعة على جراه الإسلامية،على جراه سنة 1929 وهي في 170 صفحة.

ونشر هذا الكتاب من جديد من إيم،منير قاضي،لاهور في رمضان المبارك 1398 الموافق اغسطس 1978 ويقع في 222 صفحة.

والكتاب يحتوي على سبعة فصول. يتناول الفصل الأول فضائل اللغة العربية والثاني

[51]- سليمان أشرف: المبين في فقه اللغة العربية.(مطبعةجامعة على جراه الإسلامية،على جراه، 1929 م)

مخارج الحروف وصفاتها وإعرابها والثالث تركيب الحروف بينما خصص الفصل الرابع للرد على نظرية سوفسطائية والخامس لفلسفة التطوراللغوية والسادس لفلسفة الاشتقاق وسلط سماحة الشيخ سليمان أشرف الضوء على براعة النطق المدهش في اللغة العربية في الفصل السابع .

تصحيح اللغات[52]

هذا الكتاب صغيرفي الحجم ولكنه نفيس في المعنى والقيمة اللغوية وهو أصلا في إصلاح المنطق وتصحيح النطق مع أنه شمل الكلمات الفارسية بجانب العربية ولكن معظمها عربية.

ذكر فيه مؤلفه الشيخ رفيع أحمد الكلمات العربية والفارسية التي يخطئ الناس في نطقها وربما في كتابتها وإملائها وأشار إلى صحة الكلمات وسقمها وفق القاموس وذكر المعاني الخاطئة مع النطق الصحيح والأخطاء التي حصلت في كتب القواميس مثل الصراح ومنتخب اللغات ومنتهى الأرب وبرهان قاطع وماإلى ذلك. قابل المؤلف الأغلاط في النطق والإملاء من القواميس المعتمدة ورجح البحث المعتمد عليه عند الاختلاف.

طبع هذا الكتاب من مطبعة نظامي،بدايون سنة 1929 وهو في 92 صفحة.

قرآن اور هماري بول چال[53]

هذاالكتاب كما يظهر باسمه يتناول الكلمات التي دخلت في حياتنا اليومية ونحن نستخدمها في نفس المعنى الذي استخدمها القرآن وزع الشيخ فضل قدير ظفر الندوي، الكتاب إلى أربعة أبواب:

1) الكلمات التي نستعملها وهي في نفس المعنى في القرآن
2) الكلمات التي نستعملها ولكنها أصبحت ضيقة المعاني في كلامنا
3) الكلمات التي نستعملها ولكن معانيها توسعت في حوارنا
4) الكلمات التي نستعملها ولكن معانيها تختلف عن معاني القرآن الكريم

أولا ذكر المؤلف الكلمة القرآنية ثم استشهد بالآية القرآنية ثم ترجم الآية جاءت فيها تلك الكلمة ثم استعمها في حوارنا اليومي.

الكلمة	كما في الآية	الترجمة الأردية	كما هو متداول في اللغة الأردية
ساكن	ولوشاء لجعله ساكنا	اگر وہ چاہتا تو اس کو ٹھہرا ہوا کردیتا	ساکن لاهور
خائف	فخرج منها خائفا	پس نکلا اس شہر سے ڈرتا ہوا	اس قدر خائف کیوں ہیں

[52]-رفيع احمد: تصحيح اللغات،(مطبعة نظامي، بدايون، 1929 م)

[53]- فضل قدير ظفر الندوي: **قرآن اور هماري بول چال**، (أنجمن حمايت إسلام، شارع براند رته،لاهور، سنة النشر غيرمذكور).

نشره أنجمن حمايت إسلام، شارع براند رته،لاهور وهو يقع في 125 صفحة.

المبحث الرابع في مؤلفات تعالج الاشتقاق والمعرب والمولد والدخيل

لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط[54]

صدر هذا الكتاب من المطبع الصديقي الكائن في بهوبال، في شوال المكرم 1291 هـ 1296 هـ / 1879 م.

رتبه القنوجي على مقدمة وفصول وخاتمة. أما المقدمة فعرف فيها بالمعرب والمولد واعتمد فيها على كتاب شفاء الغليل للشهاب الخفاجي؛ثم بوب الكلمات المعربة، على حروف المعجم وأورد شروحا لهاتتضمن صورتها في لغتها الأصلية ومانتهت إليه في العربية. والقسم الثاني من الكتاب عبارة عن فصول ذكرفيها ماجاء مركبا كقولهم:ركب رأسه أي تعسف، ورتب هذه العبارة على حروف المعجم وبين أقوال العلماء فيها كماعقد فصولا في :أوهام الخواص، وأوهام رسم الخط والأوهام التي ذكرها الجواليقي في تكملة الدرة وموفق الدين البغدادي في الذيل والخفاجي في الشفاء والسيوطي في المزهر والأسماء التي لاتدخل عليها آلة التعريف والشهور التي تغلط فيها العامة وخاتمة في ذكر دارات العرب.[55]

النسخة التي اعتمدت عليها هي موجودة في المكتبة المركزية لجامعة على جراه الإسلامية، على جراه وهذه النسخة تقع في 263 صفحة. المقدمة والفصول تنتهي على صفحة رقم 241 ثم ذيله المؤلف بالخاتمة ثم قام بإصلاح ما وقع من الأغلاط في طباعة الكتاب.

الدليل على المولد والدخيل[56]

الجرائد والمصنفات الحديثة حافلة ومليئة بالكلمات الدخيلة والمولدة وبدون الاطلاع الكامل والتعرف على هذه الكلمات يصعب فهم اللغة العربية المستخدمة من قبل هذه الوسائل المهمة في حياة إنسان اليوم وفهمها يتوقف كاملا على فهم الكلمات أولا، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن يشفي غلتنا ويزيل تلك العرقلة التي تحول بيننا وبين فهمنا للغة العربية المنطوقة أوالمستخدمة في الجرائد والمجلات والتلفازوالقنوات.

تسلط العبارة التالية المكتوبة على غلاف الكتاب الضوء على الكتاب وموضوعه وهي كما

---

[54] صديق حسن خان القنوجي: لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط،(المطبع الصديقي،بهوبال،1879م)

[55] - المرجع نفسه،ص 20

[56] - السيد سليمان الندوي: الدليل على المولد والدخيل،(مطبعة آسي، لكناؤ، سنة الطباعة غير مذكور)

يلي:" يحتوي على ماتولد من الصيغ والألفاظ في اللغة العربية ومادخل فيها من الكلمات من اللغات الأجنبية وهي متداولة على الأسئلة والجرائد والمصنفات الحديثة وعلى مقدمة يشرح حقيقة التولد والدخول وذيل يبين اللغات التي اقتبست منه العربية ونوعية مااقتبسته"

يتضمن الكتاب 161 صفحة بما فيها مقدمة ضافية في 10 صفحات على أصل الألسنة واللغات المختلفة وما لحق بها من خمول ومحو وكيف بقيت اللغة العربية على مر الزمن. ثم عرف الأستاذ السيد سليمان الندوي في هذاالكتاب المولد والدخيل أو المعرب وحاول استعراض المولد والدخيل من العصر الجاهلي والإسلامي حتى العصر الراهن. ذكر فيه المؤلف المصادر والمراجع التي اعتمد عليها ثم ذكر موضوع الكتاب والترتيب وحسب قول المؤلف في المقدمة بأنه جاء في هذا الكتاب الألفاظ الدخيلة والمعربة التي لم تدون في القواميس القديمة. أما المتروكة أم المدونة فلم يذكرها المؤلف ولكنه ذكرها في آخر الكتاب تكميلا للفائدة وذكر الألفاظ حسب ترتيب حروف المعجم. دون الأستاذ الندوي الكلمات المولدة والدخيلة وشرح وحقق حوالي أربعة آلاف كلمة عربية متداولة حينذاك في الجرائد والمجلات والمنطوقة في التلفاز والإذاعة .

اهتم بطباعة الكتاب المقرئ محمد عبد الولي بن العلامة آسي وقام بنشره من مطبعة آسي، لكناؤ، الهند.

الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها[57]

الأخذ والعطاء سنة من سنن الحياة اللغوية وانطلاقا من هذا المبدأ الأساسي استفادت اللغات الأخرى من العربية وكذلك العربية منها ودخلت مفردات وكلمات أجنبية إلى اللغة العربية واهتم فقهاء اللغة بدراسة الكلمات الدخيلة في كل زمان ومكان كما فعل الجواليقي في "المعرب" والخفاجي في "شفاء الغليل" والسيد سليمان الندوي في "لغات جديدة" وغيرهم.

وهكذا عُني صاحب هذا الكتاب الدكتور ف عبد الرحيم بجمع أكثر من ثمان مائة كلمة في أثناء إقامته في مصر في 168 صفحة ومن ثم معظم الكلمات العامية المذكورة في الكتاب من اللهجة المصرية.

رتب المؤلف هذه الكلمات الدخيلة أو المعربة على الترتيب الألفبائي مثلا سلخانه، المسلخ وهو المكان المخصص لذبح الحيوانات وسلخها تركي selhane وهو مركب من سلخ العربية وخانه الفارسية.

[57]- ف عبد الرحيم[الدكتور]: الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (مطبعة رنكو غراف أوفيست في حلب ولا يوجد اسم دار النشر)

تم طبعه من مطبعة رنكو غراف أوفيست في حلب ولا يوجد اسم دار النشر. أرّخ المؤلف المقدمة غُرة جمادى الأولى 1393 هـ- مايو1975 م

معجم الدخيل في اللغةالعربيةالحديثة ولهجاتها[58]

يتضمن هذاالكتاب "معجم الدخيل في اللغةالعربيةالحديثةولهجاتها" على أكثرمن (1600) كلمةمايردفي اللغةالعربيةالفصحى،وفي لهجات بعض أقطارالمشرق العربي كالسعوديةومصروبلادالشام،وهومبني على كتاب بعنوان "الدخيل في اللغةالحديثةولهجاتها" والذي يتضمن 800 كلمة.

أخرج الدكتور ف. عبدالرحيم هذاالكتاب عام 1393هـ/ 1973 م و قد ظهرت طبعته الجديدة المنقحة من دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع عام 2011 في 240 صفحة ومجلد واحد.

القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل[59]

طبع هذا الكتاب لأول مرة من مكتبة لينة للنشر والتوزيع،دمنهور بمصر عام 1411هـ-1991م وهو يشتمل على تحقيق نحو 500 كلمة مما فات الجواليقي ذكره في كتابه (المعرَّب).

فلما فرغ الدكتور ف. عبد الرحيم من تحقيق الكلمات الدخيلة الواردة في كتاب المعرب للجواليقي،أراد دراسة ما فات الجواليقي من الكلمات المعربة ولكن لما وجدها كثيرة فاختار منها نحو خمس مائة كلمة وحققها في هذا الكتاب المسمى بـ"القول الأصيل فيمافي العربيةمن الدخيل " ورتبه على الترتيب الألفبائي. والكتاب يدل على ثقافة المؤلف الموسعة وإتقانه عديدا من اللغات.

سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل[60]

لما فرغ الدكتور ف. عبد الرحيم من تحقيق الكلمات الدخيلة الواردة في كتاب "المعرب" للجواليقي أراد دراسة الكلمات غير الواردة في المعرب فدرس نحو خمسائة كلمة في "القولالأصيلفيمافيالعربيةمنالدخيل" (وقد طبع هذاالكتاب من مكتبة لينة للنشر والتوزيع،دمنهور بمصر 1411هـ- 1991 ويشتمل على تحقيق نحو 500 كلمة مما فات الجواليقي ذكره في كتابه (المعرَّب) واعدا بأنه يعود إلى بقية الكلمات في فرصة أخرى وقد عاد إليها عام

[58]- ف عبد الرحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الجديدة المنقحة ،2011)

[59]- ف عبد الرحيم[الدكتور]: القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل،(مكتبة لينة للنشر والتوزيع،دمنهور بمصر عام 1411هـ-1991م)

[60]- ف عبد الرحيم[الدكتور]: سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل، (دار المآثر بالمدينة المنورة 1419هـ- 1998م)

1413 ه في كتابه "الإعلام بأصول الأعلام" نشره دارالقلم بدمشق ودرس فيه نوعا خاصا من الدخيل وهو الأعلام الواردة في مجال قصص الأنبياء عليهم السلام والآن يعود المؤلف إلى الدخيل مرة أخرى في هذا الكتاب الذي نحن بصدده وسماه "سواءالسبيل إلى مافي العربية من الدخيل" وهو يشتمل على تحقيق 400 كلمة مما فاته في كتابه السابق (القول الأصيل) الذي وعد فيه أن يواصل البحث للكلمات التي فاتته.

والكتاب يشتمل على 229 صفحة علاوة على مقدمة في صفحتين ومصطلحات مستخدمة في الكتاب في صفحتين ونصف. رتب المؤلف الكلمات على الترتيب الألفبائي. ذكر الكلمات كما ورد في كتب المراجع ثم ذكر أصلها واللغة التي أتت منها هذه الكلمة وهلم جرا.طبع الكتاب من دار المآثر بالمدينة المنورة 1419هـ- 1998م.

پردہ اٹھادوں اگر چہرہ الفاظ سے[61]

كتاب في 134 صفحة باللغة الأردية في أصول الكلمات،يستعرض و يدرس بعض الكلمات دراسة تاريخية وتطور وتغيير الكلمة والمعنى في مختلف الزمان والمكان. دراسة الكلمات التاريخية موضوع مرغوب فيه لأن الكلمات لا تدل على المعاني والأصوات بل تشير إلى تاريخ الملل وثقافتهم وعقائدهم.

يقول المؤلف مستعرضا كلمة "وارنش" بأن الناس استخدموا هذه الكلمة أولا في مدينة ليبية قديمة "برنيقي: وسمي هذه المدينة في اللاطينة بـ Veronix ثم أصبح Varnish تدريجيا وهكذا. إن الكتاب ممتع ويثير الجوانب التي لا ينتبه إليها القاري عند المرور بهذه الكلمات.

وللمؤلف الدكتور ف. عبد الرحيم كتب أخرى مثل الكلمات العربية الدخيلة في اللغة الإنكليزية وفي عدة لغات أوربية أخرى وكتاب نشر من لندن في تدريس الحروف العربية بطريقة مبتكرة باسم)Let's Begin To Read Arabicلنبدأقراءةاللغةالعربيةوالتبيان لحروف لغة القرآن (باللغة التاملية،كتاب في تعليم حروف اللغة العربية بصورة مبتكرة) والتبيان لحروف لغة القرآن (باللغة الإنكليزية، كتاب في تعليم حروف اللغة العربية بصورة مبتكرة) والتبيان لحروف لغة القرآن (باللغة الأردية، كتاب في تعليم حروف اللغة العربية بصورة مبتكرة). وكذلك حقق الأستاذ ف، عبد الرحيم المعرب للجواليقي.

[61]- ف عبد الرحيم[الدكتور]: پردہ اٹھادوں اگر چہرہ الفاظ سے، (اسم الناشر وسنة النشر غير مذكور)

المصادر والمراجع

1. البلياوي عبدالحفيظ: مصباح اللغات، (مكتبة ندوة المصنفين دلهي)، الطبعة الأولى
2. البلياوي، عبدالحفيظ: أردو-عربي ڈکشنري،(مطبعة نامي، لكناؤ،1954م) التهانوي محمد بن علي:كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (مكتبة لبنان ناشرون،1996 الطبعة الأولى)
3. التهانوي محمد بن علي:كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (مكتبة لبنان ناشرون،1996 الطبعة الأولى)
4. رفيع احمد: تصحيح اللغات،(مطبعة نظامي، بدايون، 1929 م)
5. زين العابدين سجادالميرتهي: بيان اللسان، (المكتبةالعلمية،قاضي واره،ميرته،أترابراديش،الهند،1970 م)
6. سليمان أشرف: المبين في فقه اللغة العربية،(مطبعةجامعة على جراه الإسلامية،على جراه، 1929 م)
7. طاهر الإسلام القاسمي: معجم الأضداد، (دار المعارف، ديوبند، سهارنفور، 1427 ھ/ 2006 م).
8. عزيز الرحمن: سنگم، مكتبة الفردوس،مكارم ناغر،برروليا،لكناؤ، الطبعة الأولى 2005
9. ف، عبد الرحيم[الدكتور]: الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (مطبعة رنكو غراف أوفيست في حلب ولا يوجد اسم دار النشر والسنة)
10. ف، عبد الرحيم [الدكتور]: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الجديدة المنقحة ،2011)
11. ف، عبد الرحيم[الدكتور]: القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل،(مكتبة لينة للنشر والتوزيع،دمنهور بمصر عام 1411ھ-1991م)
12. ف، عبد الرحيم[الدكتور]: سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل، (دار المآثر بالمدينة المنورة 1419ھ-1998م)
13. ف، عبد الرحيم[الدكتور]: پردہ اٹھادوں اگر چہرہ الفاظ سے، (اسم الناشر وسنة النشر غير مذكور)
14. الفراهي حميد الدين: مفردات القرآن [تحقيق وشرح: أجمل أيوب الإصلاحي] (الدائرة الحميدية 2004 م)
15. فيروز الدين فيروز ڈسكوي: عربي لغات فيروزي، (هندوستان استيم بريس، لاهور 1907 م)
16. القنوجي،صديق حسن خان: لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط،(المطبع الصديقي،بهوبال،1879م)
17. الكيرانوي، وحيدالزمان: القاموس الوحيد،(إدارة إسلاميات ،ديوبند،2001م)
18. لويس معلوف: المنجد، ترـ: فريق مكون من الشيخ سعد حسن خان يوسفي الندوي والبروفيسور عبد الصمد صارم الأزهري والأستاذ سيد حسن القاسمي والبروفيسور محبوب إلهي القاسمي والشيخ أحمد القاسمي والأستاذ رشيد أحمد أرشد وغيرهم، (مركزي إدارة تبليغ دينيات،المسجد الجامع، سنة النشر غير مذكور)
19. الندوي السيد سليمان: الدليل على المولد والدخيل،(مطبعة آسي، لكناؤ، سنة الطباعة غير مذكور)
20. الندوي، عبد الله عباس [الدكتور]: قاموس ألفاظ القرآن الكريم: فريد بك دبو" (مكتبة فريد) دلهي، سنة الطباعة غير مذكور
21. الندوي، فضل قدير ظفر: قرآن اور هماري بول چال، (أنجمن حمايت إسلام، شارع براند رته،لاهور، سنة النشر غيرمذكور).
22. نعمان خان [الدكتور]: تصحيح لسان العرب، (منشورات المعرفة، دلهي، 2004 م).
23. النقوي ،أبوالحسن السيد ذوالفقارأحمد، المبتكرفي بيان مايتعلق بالمؤنث والمذكر،(المطبع الشاهجهاني،بهوبال،1880م)

الدكتور ظفر الإسلام خان: حياته وأعماله

عبد الحكيم *

ملخص البحث:

يعد الدكتور ظفر الإسلام خان ممن أنجبت الهند من العلماء والكتاب الذين قاموا بمساهمة قيمة في نشر اللغة العربية وآدابها في الهند عبر العصور. وأنه قد قام بتنمية اللغة العربية وآدابها من خلال كتابة الكتب العربية وممارسة الترجمة والقيام بعملية التدريس والمشاركة في مجال الصحافة ووسائل الإعلام. والدكتور فهو عالم وكاتب وصحفى ومترجم ومعلق ومحلل ومذيع جال العالم ونهل من جامعات ومؤسسات ومجامع علمية ثم أسهم في مجالات العلم والأدب والفنون المختلفة، وأثرانا بما لا بأس به من كتب ومقالات وبحوث علمية وإسلامية وتاريخية باللغات العربية والإنجليزية والأردية، وهي اللغات التى يكتب بها. ومقالى هذا يهدف الى تعريف القراء بحياة الدكتور ظفر الإسلام خان من جهة، ومن جهة أخرى أود بيان بعض مآثره العلمية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: النشاطات العلمية، الإسهامات في مجال الترجمة، الصحافة، وسائل الإعلام.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن اللغة العربية تحتل اليوم مكانة مرموقة بين اللغات العالمية الحية، ولم يزل عدد كبير من العلماء والأدباء من غير العرب يقدمون مساهمات في خدمتها ونشرها على نطاق واسع. قد أنجبت بلادنا – الهند – كثيرين من الشخصيات العبقرية التى قامت بدور ملموس في نشر اللغة العربية وآدابها بإسهاماتهم العلمية والأدبية وقدمت أعمالا نالت شهرة وتلقت قبولا في الأوساط العلمية والأدبية عبر العالم. ومن هذه الشخصيات البارزة التي تفتخر بها الهند الدكتور ظفر الإسلام خان.

تمتاز شخصية الدكتور ظفر الإسلام بقدرات ومميزات متنوعة في الكتابة والخطابة والدعوة الإسلامية وتنظيم الجمعيات الدينية والمؤسسات الإسلامية، وإقامة مؤتمرات كبيرة وتدريس العلوم الإسلامية، وله دور ملحوظ في توطيد العلاقات الودية بين الهند والعرب. ولم تقتصر نشاطاته العلمية

* باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

والأدبية في نطاق محدود في بلادنا فحسب بل امتدت إلى البلاد العربية أيضا مثل مصر وقطر والمملكة العربية السعودية حيث ألقى محاضرات في مؤتمراتها وجامعاتها، ونُشرت مقالاته القيمة فيها.

ولد الدكتور ظفر الإسلام خان في بيت علم وأدب في 12 مارس سنة 1948م في بلدة أعظم كره بولاية أترا براديش بالهند[62]. ونشأ وترعرع في أسرة علمية وأدبية معروفة في الهند ومن مشاهيرها الشاعر إقبال سهيل ووالده مولانا وحيد الدين خان الذي هو مفكر وباحث وكاتب وداعية إسلامي ووهب حياته للدعوة الإسلامية، وقد قال عنه الدكتور محمد عمارة : " لقد وهب حياته كلها للدعوة الإسلامية، وتخصص في إقامة الأدلة العلمية على الإيمان الديني، فبلور علم كلام جديدا مناسبا لعصر العلم، خاليا من جدل الفرق الإسلامية القديمة، ومتجردا من محاكاة الفلسفة الإغريقية القديمة. ولقد أعانته ثقافته العلمية الواسعة على أن يقدم في هذا الميدان أعمالا فذة غير مسبوقة"[63]. والشيخ وحيد الدين خان واسع الثقافة والمعرفة، قوي الشخصية، شديد الرأي، واضح البيان، رائع الأسلوب، ويشتهر بعلمه الغزير واطلاعه الواسع على العلوم والفنون العصرية. تجاوز الشيخ وحيد الدين التسعين عاما من عمره إلا أنه لا يزال نشيطا في مجال الكتابات العلمية، ولا يزال يحرر مجلة " الرسالة " التى أنشأها سنة 1975. وقد ترجمت كتبه إلى العديد من اللغات الهندية والعالمية.

بدأ الدكتور دراسته الابتدائية من البيت في صباه ثم التحق ببعض المدارس الدينية مثل مدرسة الإصلاح بسراي مير في أعظم كراه، ثم بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ، وقسم الدراسات الشرقية بجامعة لكناؤ. وفي عام 1966م توجه إلى القاهرة حيث التحق بجامعة الأزهر ثم بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة حيث نال شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي بأطروحة مقدمة معنونة بـ "تاريخ المقاومة العربية في فلسطين خلال 1918-1935". ثم ذهب إلى ليبيا حيث عمل بوزارة الخارجية الليبية لمدة ست سنوات ثم توجه إلى بريطانيا لمواصلة الدراسات العليا فالتحق بجامعة مانشستر ونال شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية عام 1987م، وكان عنوان أطروحته "مفهوم الهجرة في الإسلام".

نشاطاته العلمية والأدبية:

عندما نستعرض حياة الدكتور ظفر الإسلام نجد شخصيته متعددة الأطراف فهو أديب وباحث

---

[62] صهيب عالم،تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، (الرياض: داروجوه للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1437هـ/ 2016م)، ص: 190

[63] محمود رأفت، " وحيد الدين خان.. علامة الهند في العصر الحديث " المنشورة على شبكة، https://www.noonpost.org/content/18490

ومحقق ومترجم وصحفي. وله آلاف من المقالات والبحوث المنشورة في اللغات الثلاث العربية والإنجليزية والأردية. كما ترجم نحو خمسين من الكتب المنشورة في القاهرة وبيروت ولندن ودهلى. إنه قضى نحو عشرين سنة من عمره خارج الهند وخصوصا في مصر وبريطانيا اللتين أثرتا في بناء شخصيته وصقل مواهبه وتنويع مداركه[64].

تعددت خبراته وتنوعت الوظائف التي شغلها، فهو تارة مذيع ومترجم بالقسم الأردي بالإذاعة المصرية الموجهة (72-73) وتارة محرر ومترجم بوزارة الخارجية الليبية (79-1973)، وتارة زميل باحث برتبة أستاذ مشارك بالمعهد الإسلامي بلندن (91-1979) مقيم بالهند منذ أواخر 1984)، وتارة أستاذ زائر بجامعة الإمام بالرياض (1992)، وتارة ضيف محاضر في الجامعة الملية الإسلامية في نيو دلهي (منذ 1991).

وبعد استقراره في الهند في مطلع الثمانينيات أسس الدكتور ظفر الإسلام معهد الدراسات الإسلامية والعربية، ورأس تحرير المجلة العلمية "مسلم آند عرب برسبكتيفز" Muslim & Arab Perspective بالإنجليزية منذ عام 1993م، ومجلة التاريخ الإسلامي (Journal of Islamic History) التي أصدرها في نيو دلهي لمدة سنتين (1995 – 1996) باللغتين العربية والإنجليزية[65]. كما أصدر ورأس تحرير جريدة "ملي غازيت " لمدة 17 عاما (2000-2017). وهو أيضا معلق سياسي حول قضايا الإسلام وقضايا جنوب آسيا في القنوات التلفزيونية والإذاعية الهندية والأجنبية ومنها " الجزيرة " والبى بى سى. وقام الدكتور ظفر الإسلام بإنشاء دار نشر باسم " فاروس ميديا " سنة 1996م وقد أصبحت الآن دار نشر كبيرة ومعروفة نشرت حتى الآن نحو مائة كتاب باللغات الهندية والأردية والإنجليزية والعربية.

وخلال إقامته في لندن، أنجز الدكتور ظفر الإسلام عددا كبيرا من البحوث العلمية والأدبية. ألف وترجم عدة كتب وأشرف على تنظيم الندوات والمؤتمرات الدولية التي عقدها المعهد الإسلامي بلندن. قد نظم الدكتور ظفرالإسلام الندوة الدولية للحوار بين الإسلام والأديان الشرقية التي عقدت لمدة يومين بدلهي الجديدة في فبراير عام 2010م والتى افتتحها نائب رئيس الجمهورية الهندية السيد حامد أنصاري. وقد ألقى الدكتور ظفر الإسلام خان خطبا رئيسية في عدد من الجامعات الهندية والأجنبية. وكان الدكتور ظفر الإسلام عضوا بالمجلس الأكاديمي بجامعة همدرد بالعاصمة الهندية لمدة

---

[64] المقالات: عبد الرحمن بن أبي ذكرى، "مسلم من الهند: رحلة ظفرالإسلام" المنشورة على شبكة https://www.ida2at.com/muslim-from-india-journey-of-zafr-alislam-khan/

[65] المرجع نفسه.

سنتين. وقد أنشأ منظمة ائتلاف الخير (Charity Alliance) الهندية الخيرية سنة 2003 وهي تعمل للنهوض بالمسلمين في الهند وخصوصا في مجال مساعدة الفقراء على مواصلة التعليم والتربية والتدريب المهني والعلاج ومساعدة المسلمين على مقاومة الارتداد في الأماكن التي ترصدها جمعيات التنصير والهندكة ومساعدة ضحايا حوادث العنف الطائفية ومهاجرى الروهينغيا بالهند. وتدير جمعية تشيريتى الايانس مدرسة خيرية في منطقة فقيرة بمديرية مرشد آباد بولاية البنغال الغربية كما أنشأت 32 بيتا لضحايا العنف الطائفي بمديرية شاملي بالقرب من مظفر ناغار.

وقد اختير في يناير 2004م أمينا عاما لمجلس المشاورة الإسلامي لعموم الهند الذي هو اتحاد المنظمات والجمعيات والأحزاب الإسلامية في الهند. ثم انتخب رئيسا لمجلس المشاورة الإسلامي لعموم لمدة سنتين (2008م- 2009م)، وعين رئيسا لمجلس المشاورة الإسلامي بالنيابة خلال مارس- ديسمبر 2011م، ثم انتخب مرة ثانية رئيسا للمجلس لمدة سنتين 2012م- 2013م، وأعيد انتخابه رئيسا لهذا المجلس للمرة الثالثة لسنتي 2014م- 2015م.

وقد عين الدكتور ظفر الإسلام خان رئيسا لمفوضية دلهي للأقليات لمدة ثلاث سنوات في يوليو 2017م، وهي هيئة رسمية ذات صلاحيات عالية مكلفة بالسهر والمحافظة على حقوق الأقليات وحمايتها من الاضطهاد[66].

وقد حرر الدكتور ظفر الإسلام عدة مجلات ودوريات علمية بالقاهرة ولندن ودلهى. وقدعمل مراسلا لعدد من الصحف منها " الحياة " اللندنية (1992- 1993)، و" عرب نيوز " بجدة (1993-1998)، وصحيفة " الرياض " (1999 - 2006). وقد قام برئاسة وعضوية عدد من المحافل الإسلامية والمؤسسات الخيرية في شبه القارة الهندية والبلاد العربية منها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والندوة العالمية للشباب الإسلامي ومؤسسة القدس ببيروت. وهو رئيس المجلس التنفيذي لدار المصنفين بأعظم كره التى هى أقدم وأعرق مجمع علمى إسلامي في شبه القارة الهندية.

إسهاماته الأدبية:

يعد الدكتور ظفر الإسلام من العلماء الكبار في الهند وله جولة وصولة في ميادين التأليف والتصنيف والترجمة والنشر. وقام الدكتور ظفر الإسلام بمساهمات كثيرة في تطوير اللغة العربية وآدابها من خلال الكتابة والترجمة وإلقاء المحاضرات حول قضايا عربية وإسلامية بما فيها منهجية

[66] اطلعنا على هذه المعلومات بالبريد الإلكتروني الذي أرسله لنا الدكتور ظفر الإسلام بتاريخ 26 فبراير عام 2018م.

البحث العلمي، كما أصدر صحفا ومجلات وشارك في وسائل الإعلام. وللدكتور ظفر الإسلام فضل السبق بتعريف قراء العربية بالشاعر الهندي الكبير " غالب " الذى نشر عنه بحثين بمجلة " المجلة " المصرية الراقية التى كان الأديب الكبير يحيى حقى يرأس تحريرها آنذاك وذلك في أواخر الستينيات، كما ترجم ونشر بعض أعمال طاغور وغاندى وشعراء هنود عديدين. وله كتاب لم يطبع بعد عن الشاعر غالب.

إسهاماته في مجال الصحافة ووسائل الإعلام:

وللدكتور ظفر الإسلام باع طويل في الصحافة منذ وقت مبكر من عمره حيث نشر أول كتاباته الصحفية سنة 1964 وظل مرتبطا بالصحافة بشكل أو آخر منذئذ محررا ومراسلا ورئيس تحرير. وأهم محطات حياته الصحفية جريدة ملي غازيت (Milli Gazette) النصف الشهرية باللغة الإنجليزية التي بدأها في يناير 2000 واستمر رئيسا لتحريرها حتى ديسمبر 2016 أى لمدة سبعة عشر سنة. وقد أصبحت هذه الجريدة لسان حال مسلمى الهند الى جانب اهتمامها المستمر بقضايا المظلومين والمنكوبين في أنحاء العالم[67].

وتجدر الإشارة هنا الى أن الطبعة الورقية لهذه الجريدة قد توقفت بعد سبعة عشر عام أي في أواخر ديسمبر 2016م بسبب خسائر مالية إلا أن الجريدة مستمرة من خلال طبعتها الإليكترونية (www.milligazette.com) وصفحة الفيسبوك. وتعتبر هذه الجريدة من أهم المواقع الإعلامية الإسلامية على الإنترنت وهى تهتم بأخبار المسلمين عبر العالم بصورة عامة وأخبار مسلمى الهند بصورة خاصة ولا غنى عنها لمن يريد أن يعرف أو يبحث عن أحوال مسلمى الهند خصوصا لأنها تنشر ما يتجاهله الإعلام الهندي والأجنبي من أخبار المسلمين. يقول الباحث المصري عبد الرحمن أبو ذكري: " كان الدكتور خان يطمح في أن يصل صوت مسلمي الهند عبر جريدته إلى الملايين خارج شبه القارة، خصوصا وأن أخبار مسلمي الهند وأحوالهم يتم تجاهلها عمدا من كل صحف شبه القارة الناطقة الإنجليزية أو الهندية، فلا تنشر إلا في الصحف الناطقة بالأردية، والمحدودة الانتشار بطبيعتها، لكن ما كان بوسع هذا العمل الطموح الاستمرار طويلا بغير موارد، خصوصا وقد عدم الدعم الداخلي من مسلمي الهند لهذه الصحيفة الجريئة، والتي مثلت لسان حال المستضعفين، خصوصا من أهلنا في كشمير، بل تجاوزت اهتماماتها نطاق شبه القارة وصولا إلى تبني القضية الفلسطينية، ومحاولة تعرية

[67] راجع للمزيد: "مسلم من الهند: رحلة ظفرالإسلام" لعبد الرحمن بن أبي ذكرى المنشورة على شبكة الإنترنت https://www.ida2at.com/muslim-from-india-journey-of-zafr-alislam-khan/

مزاعم الغرب بالحرب على الإرهاب"[68].

وللدكتور ظفر الإسلام تاريخ طويل مع الإعلام ومن أهم أعماله أنه أنشأ أول وكالة أنباء وموضوعات إسلامية باللغة الإنجليزية بإسم " مسلم ميديا " Muslim Media بلندن فكان أول رئيس لتحريرها خلال أعوام 1981 – 1984. ورأس تحرير المجلة العلمية "مسلم آند عرب برسبكتيفز" Muslim & Arab Perspectives بدلهى منذ سنة 1993، كما أصدر مجلة التاريخ الإسلامي (Journal of Islamic History) في نيو دلهي خلال عامى 1995م- 1997م باللغتين العربية والإنجليزية، كما رأس تحرير مجلة "مسلم إنديا" (Muslim India) الشهرية خلال سنتي 2003- 2004.

والدكتور ظفر الإسلام على دراية عميقة بقضايا العالم الإسلامي وخصوصا الشرق العربي وجنوب آسيا وهو يعتبر أهم خبير ونصير للقضية الفلسطينية في الهند وقد قام بتنظيم العديد من المؤتمرات والندوات والاعتصامات في الهند من أجل فلسطين خلال الثلاثين سنة الماضية، كما ألقى محاضرات كثيرة في أنحاء الهند وخارجها حول هذه القضية وغيرها من القضايا الإسلامية والهندية والآسيوية، وهو يعرف شخصيا عددا من حكام وقادة دول شبة القارة والشرق العربي بما فيهم قادة الحركات الإسلامية والسياسية والعلماء والكتاب والصحفيون وغيرهم[69].

وكان الدكتور ظفر الإسلام قد حصل سنة 1979م على ترخيص من السلطات المصرية لإصدار مجلة " المختار الإسلامي" مع الأستاذ حسين عاشور، وكان الترخيص قصير الأجل وواجب التجديد بصورة دورية، فقام الأستاذ حسين بتأسيس جمعية تصدر هذه المجلة التى لا تزال تصدر بالقاهرة. ويذكر هذا الأمر عبد الرحمن أبو ذكري قائلا: " يحكي الدكتور خان أن أول ترخيص لمجلة " المختار الإسلامي " قد استصدر من السلطات المصرية بناء على تفويض منه الحاج حسين عاشور، ويضيف بأن ذلك كان بناء على اتفاق بينهما يجعل من " المختار الإسلامي" الطبعة العربية لمجلة " الرسالة " التي يصدرها والده في دلهي منذ 1975م، وقد كان الترخيص قصير الأجل، واجب التجديد بصورة دورية، لذلك اختار الحاج حسين تأسيس جمعية خيرية تصدر المجلة، بما أن النظام المصري كان بصدد إيقاف تراخيص إصدار الصحف للأفراد، قد تعاون معا أول الأمر في الإعداد للمجلة، ثم اختلفا حول محتواها، ففى حين كان الدكتور خان يرغب بدورية علمية رصينة، على غرار مجلة والده، مع إضافة مقالات لبعض الكتاب المصريين، كان الحاج حسين أميل إلى مجلة خفيفة أكثر شعبية، لتخاطب

[68] المرجع نفسه.

[69] اطلعنا على هذه المعلومات من المعلومات الشخصية التي أرسلها لنا الدكتور ظفر الإسلام خان بالبريد الإلكتروني بتاريخ 26 فبراير عام 2018م.

قطاعا أعرض من المسلمين، وقد انتصرت رؤية الأخير واستمرت المجلة على الصورة التي رغبها حتى وفاته مؤخرا"[70].

وكذلك عمل الدكتور مراسلا في الهند لعدد من الجرائد والمجلات منها جريدة كريسنت إنترناشنل الكندية، والهلال الدولي اللندنية، وجريدة الحياة اللندنية، وعرب نيوز بجدة، ومجلة " الدعوة " وصحيفة " الرياض " السعودية خلال أعوام 1999- 2006م. وكذلك قام الدكتور بمساهمات قيمة كمحلل سياسي ومعلق إذاعي في قنوات تلفيزيونية وإذاعية هندية وأجنبية كثيرة حول قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية تتعلق بشؤون المسلمين في جنوب آسيا بشكل خاص والعالم العربي بشكل عام، ومن أهم هذه القنوات البى بى سى وقناة الجزيرة .

إسهاماته في مجال الترجمة:

عملية التأليف والتصنيف والترجمة تحتاج إلى عمل صعب ودؤوب فلا يستطيع الإنسان الذى يحمل قدرا قليلا من العلم والمعرفة والثقافة أن يقوم بهذه العملية الصعبة التى تحتاج الى معرفة موسوعية. والدكتور ظفر الإسلام رجل مطلع على العلوم الأدبية والثقافية والسياسية والإسلامية، وقد قضى طول سنوات طويلة في المطالعة والدراسة، ولديه باع طويل في اللغات الإنجليزية والعربية والأردية وهو يعرف قليلا من الفارسية أيضا مما يمكنه من الاطلاع على الذخائر العلمية بهذه اللغات. وهذا هو السبب في أنه قد أثرى المكتبة بآثار كثيرة ومتنوعة حول موضوعات مختلفة من مؤلفة ومترجمة. وكثير من آثاره العلمية والأدبية هى في مجال المقالات العربية وفى مجال الكتب والترجمة من الإنجليزية إلى العربية والعكس. والهند فخورة بأنها موطن الدكتور ظفر الإسلام الذي لديه خبرات فائقة في هذه المجالات كلها ولا يضاهيه فيها أحد من الأحياء في الهند اليوم.

وقد ترجم الدكتور ظفر الإسلام عددا ضخما من الكتب من اللغتين الأردية والإنجليزية إلى العربية والعكس. وقد نقل عددا من كتب والده الشيخ وحيد الدين خان من اللغة الأردية إلى العربية ومن أشهرها كتاب " الإسلام يتحدى " الذي نشرته دار البحوث العلمية بالكويت سنة 1968 ثم دار المختار الإسلامي بالقاهرة في السنة التالية ولا تزال طبعات هذا الكتاب تظهر الى اليوم. ومن هذه الكتب: " تجديد علوم الدين " للشيخ وحيد الدين خان الذي نشرته دار الصحوة بالقاهرة، و" حقيقة الحج " للشيخ وحيد الدين خان الذى نشرته دار الصحوة بالقاهرة. ومنها أيضا " نحو بعث إسلامي " و"

[70] عبد الرحمن بن أبي ذكرى، " مسلم من الهند: رحلة ظفرالإسلام " المقالة المنشورة على شبكة الإنترنت، https://www.ida2at.com/muslim-from-india-journey-of-zafr-alislam-khan/

حكمة الدين "، و" المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل "، و" الإسلام والعصر الحديث "، و" الشريعة الإسلامية وتحديات العصر"، و" إمكانات جديدة للدعوة " الخ.. وهو قد ترجم أيضا بعض الكتب الأخرى من اللغة الإنجليزية إلى العربية ومنها: " الحركة الإسلامية: قضايا وأهداف "، " التوحيد والتفسيخ "، و" الثورة الإسلامية في إيران "، و" الثورة الإسلامية المستقبل الوحيد لباكستان "، و" القومية والدولة الحديثة "، و" قضايا الحركة الإسلامية " وغيرها[71]. وإلى جانب هذه الكتب المترجمة هناك عدد من الكتب الأخرى ومنها " تاريخ الدعوة إلى الإسلام "، و" خواطر وعبر"، و" مراحل الثورة الإسلامية " وغيرها من الكتب. وهذا الجهد الكبير في الترجمة يعتبر من أهم ما يتميز به الدكتور ظفر الإسلام عن أقرانه في الهند المعاصرة.

إسهاماته في مجال الكتابة:

نتاج الدكتور ظفر الإسلام خلال الخمسين سنة الماضية يمثل ذخيرة علمية من كتب ومقالات وبحوث متنوعة في اللغات العربية والإنجليزية والأردية. ويظهر هذا الإنتاج الضخم عبقريته وخبراته العلمية المتنوعة في الموضوعات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والتعليمية وغيرها من الفنون. ويبلغ عدد مؤلفاته والكتب التى ترجمها نحو خمسين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والأردية، وقد نشرت هذه الكتب في القاهرة ودهلي ولندن وبيروت والكويت. ومن أعماله في اللغة العربية إنديرا غاندي: سيرة سياسية (القاهرة عام 1968م)، والمسلمون في بولندا (بيروت 1996م)، والتلمود: تاريخه وتعاليمه (بيروت 1971م)، وتاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي (بيروت 1973م)، وتاريخ المقاومة الفلسطينية (عام 1978)، و" دليل الباحث" (عمان 1996)، ومن مؤلفاته الإنجليزية: الوثائق الفلسطينية (دهلي 1989م)، والهجرة في الإسلام (دهلي 1996م)، الخ...

الخاتمة:

عند استعراضنا لحياة الدكتور ظفر الإسلام خان وأعماله العلمية نجد أنه عالم كبير وكاتب قدير ومترجم ماهر وصحفي بارز وناقد محترف له جولات وصولات في ميادين عدة وهو يكتب ويتحدث بثلاث لغات على حد سواء. وهو ماهر في البحث والتحقيق والتحليل العلمي، كما كان أستاذا ألقى محاضرات قيمة في جامعات عديدة عبر العالم. وقد قضى ردحا من عمره خارج الهند منها سبع سنوات في مصر وست سنوات في بريطانيا وقد أثرت تجربته هذه كثيرا في بناء شخصيته وعلّمته الاعتدال وشحذت

[71] صهيب عالم، الدكتور، **تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند**، (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1437هـ/ 2016م)، ص: 190

قدراته مما مكنه من تقديم ما لم يوفق له أحد من معاصريه من العلماء والأدباء والكتاب في الهند. وهو لم يكتف بهذا بل له مساهمات فعالة في الأنشطة الإسلامية والخيرية في الهند فكان رئيسا لمجلس المشاورة الإسلامي لعموم الهند لثلاث فترات، وهو يرأس جمعية " تشيريتى الايانس " الخيرية منذ نشأتها سنة 2003. وهو حاليا رئيس مفوضية الأقليات بدلهى وهي هيئة رسمية ذات صلاحيات عالية مكلفة برعاية حقوق الأقليات.

المصادر والمراجع:

- صهيب عالم، الدكتور: تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، الناشر: دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية 1437هـ/ 2016م.
- ظفرالإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الثانية 1972م.
- ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم 1220 ق. م-1359م منذ أول غزو يهودي حتى آخر عزو صهيوني، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة 1981م.
- خان، وحيد الدين: الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، الناشر: مكتبة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثانية 1974م.
- محمود رأفت، "وحيدالدين خان.. علامة الهند في العصر الحديث" https://www.noonpost.org/content/18490
- المقالات: عبد الرحمن بن أبي ذكرى، "مسلم من الهند: رحلة ظفر الإسلام" ، المنشورة على شبكة
- /https://www.ida2at.com/muslim-from-india-journey-of-zafr-alislam-khan
- "من آفاق الكلمة"، 28 سبتمبر عام 2012م مكالمة صحافية: http://mazinmotabagani.blogspot.in/2012/09/blog-post_8976.html
- ظفر الإسلام خان، المسلمون في بولندا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م). https://ar.wikipedia.org/wiki/الإسلام_يتحدى_(كتاب) بتاريخ 05/ 03/ 2018م.

فن السيرة الذاتية في الأدب العربي

بلال احمد بيغ[72].

الملخص:

مرالنثر العربي خلال تطوره بمراحل مختلفه، و الأدب العربي بشكل عام كان مهبطا لأجناس أدبيته ظهرت لها في العصر الحاضر عناصر فنية يرى قلة من النقاد أن بعض الأجناس الأدبيته نثرا. كالروايه والمسرحية،و.....مأخوذة من الغرب بينما إذا أمعناالنظر.نجدنمازمنها في أدبنا العربي القديم، و إن كان القدماءلم يعرفوا مصطلحاتها التي نشأت حديثا، حتي و لو أن الأدباء المعاصرين في بعض عناصرها تأثروا بالغرب.

لا شك أن فن كتابته السيرة الذاتية نوع قديم في الأدب و هو قد مر بتغيرات مع مرور الوقت لأن العرب كانوا يعرفون هذا الفن في العصر الجاهلي أيضا. وهذا يعني أن هذا الفن ليس حديثا في الأدب العربي بل إنه نوع معروف من الأدب العربي.

في هذا المقال بحثت عن فن السيره الذاتية، خاصة تطورها في الأدب العربي قديما و حديثا،

كذلك بحثت عن اهميتها في الأدب. كذلك بحثت عن اسلوب العرض في السيره الذاتية . هكذا بحثت عن العوامل الدافعه في كتابة السيرة مع الفرق بين الروايه و السيرةالذاتية.

السيرةالذاتية و كثرة التعريفات:

تم تعريف مصطلع السيرةالذاتية في الموسوعة الحرة و يكيبيديا بأنها " الوثيقه التي موجزا أو قائمة بالوظائف ذات الصلة بالخبرة و تعليم. السيرة الذاتية هي أول لقاء بين صاحب العمل المحتمل وطالبي الوظائف ، و نستخدم عادة لغرز المتقدمين وغالبا ما يعقبها مقابلة أو أكثر في حالة البحث عن و ظيفة.

إن السيرةالذاتية هي التي يتحدث فيها الأنسان عن نفسه ، فيسجل حوادثه و أخباره . و يسرد أعماله و آثاره، و يجسد فيها منجزاته بشكل مختصرودقيق جداحيث تعتبر السيرةالذاتية إحدىالجوانب الهامة النابغه بالحياة للذات المحوريه وإحدى التجارب الحية المضيئة في حياة

[72] جامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجية اونتي بوره بلوامه، هاتف: ٩٧٩٧٨٤٢٥٢٧

أصحابها خاصة إذا كانت الذات الكاتبة هي صاحبة القلم التي سطرت هذه السيرة ووصفت من نفسها و خاطرها وفكرها وذاكرتها وتاريخها كل ما يعطيها تأثيرةمرورإلي الساحة والإ بداعية كعمل إبداعي له مقوماته ومزاياه الخاصة حيث تستيم الصدق وتجسد الخطوطه العريضة في حياة كاتبها.

إن فن السيرة الذاتية قديم في الأدب العربي وليس من الفنون المتحدثة كما يظن البعض فيعصرنا،مكتب بعض القدماءمن أعلام الفكر والأدب والعلم عن حياتهم ومن أهم كتب السيرة الذات العربيةالقديمه"الاعتبار" لأسامه بن منقذ، "المنقذ من الضلال"لإمام الغزالي" و في العصر الحديث "الأيام" لطه حسين "حياتي" لاستاد احمد امين، و "انا" لعباس محمود العقاد[١]

"السيرة الذاتية تتعلق بالواقع ، بأنه يذكر ويقص حياته و يقدم مسار أفكاره .وبذلك التصريح سماه فليب ليجون بميثاق السيرة الذاتية و شرط وجود السيرة الذاتية هو الميثاق السيرة الذاتية هو الميثاق الأوتوبيوغرافي لتكون هناك سيرة ذاتية يكون هناك بطابق بين المئولف والسارد والشخصيتة.[٢]

اما السيرة في القوامس اللغوية تعني الطريقة و السنة والهيئة و تاريخ حياة الفرد فذلك المعني اللغوي يكون قريبا من المعني الاصطلاحي كثيرا، هناك علاقة و وطيدة و صلة قوية بين المد لول الغوي و المدلول الاصطلاحي.

واجتهد علماء في السيرة الذاتية ، و تذكر منهم علي سبيل المثال جورج ماي (ت–١٩٤٩) يقول

"فمن المشاكل التي تطرحها السيرة الذاتية في النظرية النقدية الحديثة الاهتمام التاريخي بما هيتة السيرة الذاتية وبدايات ظهورها كفن في الآداب العربية والغربية ،وإيجاد مقومات الجنس الآدابي بين الأجناس الأدبية ، و محاولة إيجاد تعريف بتناسب مع الحدود المبدئية لتصنيف السيرة الذاتية كجنس له هويته،إذ تنوعت التعريفات والمصطلحات للدلالة علي مفهوم السيرة الذاتية لمبتراد فانها المتعددة[٣]

بيدأ كاتب السيرة الذاتية حكاية عمره بتاريخ ويرسم أسرته في بيئة ما،ثم ولادته و طفولته، ثم شبابه و بلاغه، ثم كهولته و شيوخته و مع ذلك يلتزم بالترتيب والنظام في كشف الأحداث والوقائع بطريقة جذابة لان كتابة السيرة الذاتية ليست رواية الحوادث بل هي إعادة الحياة السابقة و لهذا يركز الكاتب في الاتحاد الفني عند إحياء سنخصيته بجميع ظلالها و مظاهرها.[٤]

يقول جمور جماي "أنهاصعب الوصول إلى حد ماعن تعريف جامع للسيرة الذاتية و سببها أن السيرة الذاتية هو الجنس الأدبي حديث نسبي ،بل لعله أحدث الأجناس الأدبية" (٥)

وهذه حقيقة بأن الدراسات لم تجمع على سبب وجود الإشكالية في تعريف السيرة الذاتية ، ولذلك نري فليب لوجون في كتابة السيرة الذاتية لتيراجع عن التعريف الذي كان وضعه للسيرة الذاتية في الداسته السابقه ، و يحاول لتعريف جديد لها بواسطة سلسلات منشورة بين مختلف النصوص المقترحة للقراءة و يضع في سبيل ذلك قيودا شتى إلى وصول تعريف جامع و مانع للسيرة الذاتية .و بذلك نراه يعترف في النهاية ، بأن من الضرورى من وجود نصوص يرجع عنها الدارس هل هي قصة ، قصيدة أو سيرة ذاتية.(٦)

و اصطلاح السيرة الذاتية قد ورد من الانجلترا في بداية القرن التاسع عشر ، ش كلمة السيرة تدل علي معنين قريبين من جهة و مختلفين من جهة أخرى.

والمعنى الأول:– قائله الاروس(١٨٦٦م) بأنها حياة شخص مكتوبة من قبله .هى قسم من الاعتراف في ضد المذكرات التى تسرد أحداثا يمكن أن يكون غريبة عن السارد.

والمعني الثاني:– هى كل نص يبدو أن كاتبه يكتب عن حياته أو مشاعيره مهما كان الميلان من جهة الكاتب ، وهذا المعنى هو الذى قصده فابسيروافى المعجم الكوني للأدب ١٨٧٦م، حينما قال فيها:–

" إن السيرة الذاتية عمل أدبي ،رواية ، سواء كان قصيدة ام مقالة فلسفية قصد المئولف فيها بشكل ضمني ، أو بشكل صريح رواية حياته و عرض أفكاه أو رسم حياته" و لوجون يقول عن السيرة الذاتية "هي كل عمل يجمع في الوقت نفسه الشروط اللغوية والموضوعية و ما يتعلق بالراوي في حين لا تجمع الأنواع المشابهه للسيره الذاتية (٧)

حسب التعريفات السابقة نجد أن السيرة الزاتية تشتمل علي وصف طريقة الكتابة.والسيرة الذاتية هى فن من الفنون التى تجعل وتبنى المبنى من الشقة بين الكاتب والقارى – ولذايجب على الكاتب بالتزام الصدق عند كتابة سيرته و هذا يجعله قريبا إلى نظرة القارئين.

ويرد السوال بأنه إلى أي حد يمكن أن يكون صادقا مع ذاته في كتابة سيرته؟

ويجيب عن هذا السوال إحسان عباس حسين يقول:–

"الصدق الخالص أمر يلحق بالمستجيل والحقيقه الذاتية صدق نسي ،مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها" (٨)

"ان لفظتى "ترجمة" و "سيرة " كانتا تدوران على معنى "تاريخ الحياة" و قد إتخذ التاريخ للفرد صورا مختلفة لدى العرب، و كانت " السيرة أولى هذه الصور و قصدها حياة الرسول الكريم و مغازيه و إن لم يمنع ذلك وجود" سيرة معاوية و بني أمية " لعوانه الكلبى (المتوفى سنه ١٢٧ق.....وقد ظهرت فيما يبدو في وقت ظهوره "سيرة ابن اسحاق" (المتوفى سنه ١٥١ق.....)و ظلت السيرة عصورا تالية ، فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة–"[٩]

و عندما ألف أحمد بن يوسف ابن الدابه الكاتب المصرى كتابا في"سيرة أحمد بن طولون" "انتقل الأول مرة استعمال لفظة" "السيرة من سيرة االنبي(ص) الى غيره من الرجال و في القرن الخامس الهجرى، عندما نشر السلطان محمود الغزنوى راية الاسلام فى الهند و ما جاورها،ألفت الأقدار لأبى النصر العتبى(المتوفى سنة ٢٢٧ق) أن يتصل بالأمراء الغزنونين ، و أن يشهد عن كتب جلائل الأعمال التى قام بها السلطان محمود فألف كتابا اسماه "اليمينى نسبه إلى يمين الدولة .وهولقب السلطان محمود–وبسط فيه ترجمة حياته و ترجمه أبيه سكبسكتين.ولقيت هذه السيرة من القبول في البلاد الإسلاميه ماجعل الأدباء يتسابقون إلى شرحها إذ قام بشرحها جماعة من الكتاب أمثال المنينى الدمشقى فى "الفتح الوهبى على أبى نصر العتبى" و "الكرمانى" .و"الخوارزمى" و" ابن محفوز" و" وحميدالدين– و "اتسع تطور السيرة أيضا ليشمل سيرة سيف بن ذى يزن" و" سيرة عنتره" و ما أشبه من الحياة الفردية لأبطال السير الشعبيه" [١٠]

أما بشأن تعريف هذا الجنس الأدبى فلا يوجو بين الدراسات التى تناولته دراسة تقدم لنا حدا جامعا مانعاله و هذا يودى إلى اعتبارنا السيرة الذاتية من أكثر الأجناس استعصاء على التعريف. [١١]

و من الباحثين الأجانب نرى فيلب لوجون يقول في تعريف السيرة الذاتية "حكى استعادى نثرى ، يقوم به شخص واقعى عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يركز على حياته الفرديه وعلى تاريخ شخصيته بصفته خاصة" (لوجون لاتا ٢٢) نعتقد الباحثه تهانى عبدالفتاح شاكر أن فيليب لوجون قد يكون من أكثر الباحثين تعريا للدقة في صياغة تعريفه للسيرة الذاتية ، إذ بين ثلاث نقاط. ١–شكل الكلام – و هو سرد لحياة صاحب السيرة– ٢.موضوع السيرة– و هو حياة الكاتب بصفة خاصة. ٣–وجوب التطابق بين الئولف ، والراوى، والشخصية الرئسية فى السيرة [١٢]

وعلينا أن نعرف بأن السيرة الذاتية تءتلف عن المذكرات واليوميات مأدة و منهجا لأنها تكشف عن طبعية الانسان عامة وكذلك تكشف عن الحق والصدق الذين بدونهما لا نفهم

الشخصية فهما جيدا.يحلل الكاتب فى السيرة شخصية أو ذاتية كما ينتقد على نفسه فينساها تارة و يذكرها فى أوانة أخرى –ولعل السيرة الذاتية فريدة بين الفنون الأدبية لأنها تتطلب استبطعان الشخصية وكشف خباياها مع تطور زمني و مراحل النمو والتغيير ويقال أن السير تساعدنا في فهم التاريخ للفترات الخاصة لزمن بطريقة حسنة من كتب التاريخ الأصلية بما فيها إشارات العادات إلى البيئات المختلفة أو إلى العصور المتنوعة [١٣]

"فن السيرة الذاتية نوع أدبي جديد فى الأدب الإنجليزى كما هو اختراع حديث فى الأدب العربى ظهر هذا الفن خلال نهضة أوروبا وما توسع أفقه توسعا بعيدا إلا فى القرن الثامن عشر .ولعل سانتى "Sonthy"

أول أديب الذى استخدم كلمة السيرة الذاتية" Autobiography " فى عمله المنشور عام ١٨٠٩م ثم اتسعت دائرة السيرة الذاتية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى تعددت الكتب لا فى أوروبافحسب بل فى أمريكا ايضا على السواء [١٤]

<u>متى نكتب السيرة الذاتية:–</u>

نكتب السيرة الذاتية لثلاث أشياء ، اولها –اذا اردنا ان نتقدم إلى وظيفة ما– ثانيها إذا قدمنا أدبيها ذات قيمة أدبية عالية– ثاليثها– إذا أردنا ان نسجل أختراع معنينا أو تقدمنا لمنصب سياسى هام.

<u>السيرة فى الاصطلاح:–</u>

السيرة فى الاصطلاح هى:–بحث يقدم فيها الكاتب حياته أو حياة أحد الأعلام المشهورين ، ويبرز فيها المنجزات التي تحققت فى حياته أو حياة المتحدث عنه.

أما فن السيرة فى التعريف الأدبي هو: نوع من الأدب يجمع بين التحرى التاريخى ، و يراد به مسيرة حياة انسان و رسم صورة دقيقة لشخصيته. [١٥]

وقد بدأ هذا المصطلح سيرة داتية إلى الوجود فى أول مرة ، بداية القرن التاسع عشر، وجاء في المعجم (Oxford) ويرجع تاريخيه إلى عام (١٨٠٩م) [١٦]

وقد شاع مفهوم كلمة سيرة فى الأدب العربى مدللا على الجنس الأدبي الذى يشتمل على حياة فرد من الافراد [١٧]

<u>السيرة الذاتية فى الأدب العربى القديم:–</u>

أول مشكلة نجدها عند كل السيرة هي:الأسلاف احتججوا خلف ماكتبوا، وقد يذكر أن بعض الطوائف تحتجون خلف اعترافاتهمالعقلية .و هنا تبرز سيرة ابن سينا القصيرة لكن

الغنية تجربتها المعرفية.[١٨]

ولا شك فى ذلك بأن الشخص العربى كان يمدح قبيلته على كل حال ، وكان الشخص العربى يلتزم قرارات قبيلته مهما كانت الظروف و هذا ما يميزه قول دريد بن الصمة:–

وهل أنا الا من غزية إن غوت

غويت و إن ترشد غزية أرشد [١٩]

و كذلك يقول عبدالرحمن البدوي إذا لم تصلنا نصوص نثرية مكتوبة سردها إنسان عاش فى العصر الجاهلى عن نفسه فذلك لأن الكتابة كانت قليلة في العصر الجاهلى [٢٠]

فى الجاهلى كان للشاعر مقام كبير في قبيلته لأنه كان يدافع عنها بشعره ويسجل أعمالها وحروبها و لذلك قد وصل إلينا الشعر ولم يصل النثر لأن الشعر أسهل في الحفظ والتداول بين الرواة. [٢١]

والشعر كذلك استطاع أن يشتمل على سيرة ذاتية وإن كانت غير واضحة –أما بالنسبه فى العصر الإسلامى ، فإن اول قطعه وصلت إلينا هى ما رواه سليمان الفارسي (ت –٣٦ هـ /٦٥٦م) عن نفسه وهذه القطعه ذكرها الخطيب البغدادى فى كتابه "تاريخ بغداد" وأسندها إلى ابن عباس ، حينما يذكر فيها السيرة الذاتية عن نسبه، و هذه القطعه فقد تغتبر أول ندرة للسيرة الذاتية فى القرن الأول–

ذكر إحسان عباس فى كتابه "فن السيرة" "أن ابن الهشيم (ت–٤٣٠هـ)كان صريحا فى سيرته إلى درجه تضربسمعته بين الناس [٢٢]كما أن ابن الهشيم شغل منذ أول أمره باختلاف الفرق ، وقد اهتدى بفطرته إلى أن الحق بين الطوائف والملل والمذاهب إنما هو في طريق الوصول إليه، و اقتنع بأن معرفة الحقهيالتي تقربه إلى ربه ، بعث عزيمته إلى هذه المعرفة التي لا تنال إلا بالعلم وبذلك تحدد وسيلته وغايته [٢٣]–

وفى كتب التراجم التي حفظت لنس شيئا من قطع السيرة الذااتية "معجم الأدباء " لياقوت الحموي إذا يورد السير الذاتية لعلي ابن دريد البيهقي نستطيع أن نلاحظ من هذه القطع السير الذاتية ،و إن لم تكن تامة تشكل بذورا خصية لفن السيرة الذاتية ،فنحن نجد فى بعض منها أسلابا أدبيا مفعما بالحيويه. [٢٤]

وهناك عدة رسائل تشتمل على السير الذاتية منها رسالة الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدى (ت–٤١٤هـ) ذكر فيها بعض الأحوال الذاتية ،و كذلك هناك رسالة لإبن الجوزي لفتة الكبد إلى نصحية الولد –والكتب التي تشتمل على السيرالذاتية منها كتاب "طوق الحمامة في

الألفه والآلاف لإبن حزم الأندلس

(ت–٤٥٦ه) والمنقذ من الضلال لإمام الغزالى (ت – ٥٠٥ه) يذكر فيها شيئا من القضايا الروحية –و لعل

أخر بذور السيرة الزاتية فى الأدب العربي القديم والتي وصلت إلينا هي سيرة ابن خلدون (ت–٧٠٧ ه) المسى بابن خلدون وهي سيرة ذاتيه [٢٥]

يمكن اعتبار هذه النماذج الأصولية التي تخرج منها رائحة لتاريخ السير الذاتية و تعتبر هذه النماذج المنتشره في الكتب والرسائل قاعدة لانطلاق هذا الفن الأصيل–

<u>السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:–</u>

نجد فن السيرة الذاتية في العصر الحديث في نهاية القرن التاسع عشر الميلادى دعد حملة بونا بارت على مصر في سنة ١٧٩٧م [٢٦]

وسلك المحدثون على طريقة قد مائنا في الترجمة لأنفسهم .بعد الاطلاع وإتقان من اللغات الأجنبيه عند العرب [٢٧]

وفي هذا المنطق يكتب محمد بن عمر التونسي(ت–١٨٥٧م) فى كتابة تشهيذالأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان عام ١٨٣٢م ويحتوى مقدمة هذا الكتاب سيرة المئولف نفسه ،ثم تحدث عن الوظائف التي شغل بها، ثم تحدث عن رحلته إلى بلاد السودان[٢٨]

وكتاب "تخليص الإبريز "لرفاعة الطهطاوى (ت–١٨٧٣م) فقد يعده الباحثون من الكتب الأساسية في فن السيرة الذاتية ،والحقيقة بأن هذا الكتاب كان محتجبا عن عيون الناس فترة من الزمان و غرض رفاعة من هذا الكتاب ،هو ذكر رحلة الي فرنسا و هذا قد يفيد للدارسين الذين سوف يسافرون إلى فرنسا أو الانجلترا [٢٩]

و كذلك نجد السيرة الذاتيه لابن حزم الأندلسى (ت–٤٥٦ ه) فى كتابه "طوق الحمامة فى الألفة والآلاف " ويتزين هذا الكتاب بالأحداث التاريخية وقد يتصور القارئ بأن أمامه يجري الحوادث مثل الأفلام الجارية على الشاشة[٣٠]

و نحن نرى فى العصر الحديث بعض الناثرين ينسجون ترجمتهم في نسيج قصصى ،منهم:

الشدياق(ت–١٨٨٧م)وتوفيقالحكيم(ت–١٩٨٧م) والجدير بالذكر أن طه حسين تأثر من روسو (ت–١٧٧٨م) واعترف بالصراحة[٣١] بيدأن طه حسين قد أبرع في هذا الميدان وفي مجال النقد الأدبي مع ذلك كان موهوبا في القصة والرواية[٣٢]

وكذلك قد تأثر أحمد أمين بكتاب الأيام ومشى على منوال طه حسين حينما كتب سيرته فى

حياتي وليس سبب التأثر هو شهرته الأدبية فحسب ،بل أثرت شخصيته في نفسيته [٣٣]

أما الكتاب "حياتي" لاأحمد امين (ت–١٩٥٤م) قد يمثل فيه العلاقات الخارجية بالناس والأماكنويميل إلي ذكر الحقيقةوأسلوبه جميل وإخباري ومرتبط بين السيرة الذاتية والتاريخ ومبتعد عن الناحية الفنية .وكذلك نجد في العصر الحديث أيضا في أدبنا السير ذاتية لأديب توفيق الحكيم في كتابه "رواية من عصفور الشرق" [٣٤]

أما عباس محمود العقاد (ت–١٩٦٤م)منراه مختلف في أسلوبه في كتابة سيرته الذاتية اختلف اختلافا تاما عن طريقتي وأسلوبى طه حسين وأحمد امين،نجد عند العقاد أسلوبا تحليليا تفسيريا ،وهوتعودعليه وكتب مقالاته على هذا الأسلوب [٣٥] وكذلك نلاحظ فيها اختلاف البناء الفني ايضا عن طريقة طه حسين و أحمد امين [٣٦]

"الأيام" لطه حسين هو كتاب لسيرة ذاتية و هي رائعة جدا في الأدب العربي ،أما الكتب للآخرين وهي قصة محضة مثل كتب لتوفيق الحكيم والماذنى (ت–١٩٤٩م) ونجد في هذه الكتب شيئا قليلا من العناصر الذاتية والترجمة الشخصية ونفس هذا الشئ موجود في كتب العقاد أيضا– وألى جانب ذلك هناك بعض الأعلام مثل نجيب محفوظ (ت–٢٠٠٦م) الذي جعل سيرته في إطار قصصى ممتلئ بالعمق والذاتوبة،وكذلك محمد شكري

(ت–٢٠٠٣م) الذى كتب سيرته في كتابه الموسومه "الخبز احافي" و جبرإبراهيم جبرا(ت–١٩٩٤م) يكتب السيرة الذاتية في"البئر الأولى" ، و فيصل الحوارني (ولد ١٩٣٩م) يكتب في "الوطن في الذاكرة" ، و محمد القيسي(ت–٢٠٠٣م) في كتابه"ثلاثية حمدة" و في هذه الكتب لا يكون الفكر مقارنا بالجنس المرتبط بالشعر ،

كالقصة الشعرية، والسيرة الذاتية الشعرية[٣٧]

<u>العوامل الدافعة في كتابة االسيرة:-</u>

أما العوامل الدافعة التي تدفع الكاتب إلي كتابة السيرة الذاتية فمنها فى بعض الأحيان غلبة الأزمة النفسية أو تشويق سجل الذكريات الشابة بعد أرتفاع السن، أو تشغيل أوقات الفراغ ،بكتابة خفيفة، وعلى حد قول أحسان عباس إن كل سيرة هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد–فإدا بلغت هذه التجربة دور النضج ، وأصبحت في نفس صاحبها نوعا من القلق الفني –فانه لا بد من أن يكتبها[٣٨]

ومن الناحية الأخرى إنه يقال الجمال الفني في السيرة الذاتية هو الدافع الوحيد في الكاتب ، و لذلك يدفع إلي إظهار خبايا نفسه أمام الناس ،أو من الممكن أنه أديب مثل طه حسين الذي

لا يستطيع أن يعيش إلا إذا كتب كما يقول على لسان بعض بطله"وحقيقه الأمر أنه يكتب لأنه أديب لا يستطيع أن يعيش إلا إذا كتب ،يكتب لأنه محتاج إلى الطعام والشراب والتدخين[٣٩] أو من الممكن أو يكون الدافع إصرار القراء كما يشتاق قراء كتب ميخائيل نعيمة يجبرونه على كشف خبايا نفسه و بواطنها و يقول نعيمة عن هذا الاصرار من عشاقة في مقدمة سيرته الزاتية "سبعون" "لكن فضول فرائي ، وهو فضول مغفور ومشكور ،يأبي الاكتفاء بمشاركتي في حياتي الفكرية . إنهم يريدون أن يعرفوا التربة التي نبتت فيها هذه الأفكار والأجواء التي فيها تبلورت، والأسس التي تقوم عليها ، والعقبات التي واجهتها و ذللتها ،والتي واجهتها ولم تذللها بعد، والى أي حد تساير حياتي أفكاري" [٤٠]

وعلى هذا النحو نستطيع أن نلخص بأن المحركات والدوافع عند الكتاب متنوعة الألوان وانما تختلف من الأديب . فتتوقف على طبيعته و معالجته الأشياء.

ما هي الفرق بين السيرة الذاتية والرواية ؟

إن فن السيرة الذاتية فن جديد في الأدب العربي و تعطينا تاريخ حياة مئولفها المرحلة زمينه معددة وتختفظ بالترتيب الزميني للأحداث كما وقعت لصاحبها، ولا يقتصر المؤلف على سرد الاحداث فحسب إنما يقوم مقام الدارس المحلل والمحاكم ، كما يحاول أن يتجرد من الرابطة العاطفية التي تعده بها ، وتضم السيرة أبرز الأحداث وترسم صورة البيئة الأولى وتحولات الكاتب من حال ألى حال .وجدير بالذكرهنا الفرق بين السيرة الذاتية و الرواية لأن السيرة الذاتية تستمد مادتها من الواقع أما الرواية فانها تستمد مادتها من الخيال. وإذا دخل في السيرة الذاتية الجوانب الخيالية والمشاهد الموضوعة ، وكذلك الاستطراد في اللغة والنقد والسخرية ،تخرجت عن المعني الفني[٤١] وتكون الرابطة بين الأحداث في السيرة الذاتيه سطحية و وقوع الأحداث تثتمل زمنا محددا. أما في الرواية فتكون الرابطة فيها خارجية على جانب إفتراض وجود الرابطة الدخلية بين الأحداث[٤٢] وكذلك هنا فرق آخر هو أن السيرة الذاتية تدور حول شخصية محورية واحدة ،تتعددمن حولها الشخصيات التي قد تظهر مرة أو مرات ثم تختفي تماما، أما في الرواية فتكون الرابطة بين الشخصيات حتى نهايتها .و جدير بذكر هنا التباعد بين السيرة الذاتية والسيرة الأدبية ، فالسيرة الذاتية نقل مباشر أما السيرة الأدبية نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق. و كاتب السيرة الذاتية ذاتي قبل كل شيء ينظر إلي نفسه وينتقدها اما كاتب السيرة الأدبية فيقف موقف الشاهد لا القاضي[٤٣]

وبالاضافة إلى ذلك هناك قيمة وثائقة للزمان والمكان في السيرة الذاتية التي لا يملك كاتب

السيرة الذاتية حيا لهما الحرية التي يمتلكها الروائي ، و من هنا تبرز إشكالية تحقيق درجة من الوحدة والانسجام اللذين لا بد منهما لأي عمل فني . و كاتب السيرة الذاتية يملك حق الاختيار فيما يتصل بأحداث حياته أو حياة مجتمعه في إطار رؤيته لتلك الحياة ، لكنه لا يملك حق إغفال ما هو مهم أوثابت كما لا يملك حق تغييرة ،فيما يختار.[٤٤] مهما يكن من الأمر فالسيرة الذاتية أمتع من بقية الفنون الأدبية ولا سيما الرواية لأنها تاريخ حياة الشخصية و تصوير البيئة و المجتمع لزمن محدد في أسلوب روائي بالصور والوصف . وتصوير الوقائع في

السيرة الذاتية أقرب إلي تصوير سينيمائي حركة و هزة، تتمشى بنا إلى العالم الحسي المسي. و نحس أن الوقائع تظهر و تختفي أما منا فنتلذذ في أن و نتألم في آونة أخرى ، نسبح في بحر الحياة أحيانا ونطير في جوها العالي أحيانا أخرى. و تجري بنا هذه الأحداث التي تسحر على القارئ ويمكن أن نسميها عملية الفن العالي كما نشاهد هذا الفن العالي في "سبعون" لميخائيل نعيمة أو عند طه حسين في "الأيام" اللذين يتميزين بتناول الموضوع من الناحية الفنية الكاملة و بروعة أسلوبهما القصصي . و على العكس من هذين الكتابين "عودة الروح" لتوفيق الحكيم و" ساره" لعباس محمود العقاد . و"ابراهيم الكاتب" لمازني، فكل هذه الكتب عارية من العناصر الذاتية أو ترجمة شخصية و لكنها لا حقه بالقصص.[٤٥]

و في ضوء الدلائل المذكوره نلخص بأن العرب عالجوا فن السيرة ولكنهم لم يلتفتوا إليه كما اتجهوا إلى الفنون الأخرى[٤٦]) و كل ما ظهر من السير حتى سيرة عبدالله نديم (١٨٤٥– ١٨٩٦م) "كان و يكون" تفتقر إلى العناصر الفنية، و تاريخ الشخصية أغلب فيها من تصوير الشخصية و تلوينها . لهذا نقول إنها تاريخ الشخصيات فحسب و ليست السير الذاتية من الناحية الفنية . أما منذ نهاية القرن التاسع عشر فظهرت السير الذاتية المتعددة، و لعل "الساق على الساق فيما هو الفارياق" لاحمد فارس الشدياق من أولى المحاولات الفنية في السيرة الذاتية ، و بعد ذلك ظهرت السير الذاتية منها "الأيام" في ثلثة أجزاء لطه حسين و "تربية سلامه موسى " لسلامه موسى ، و :حياتي" لأحمد أمين" ، و"كذا أنا وا دنيا " لخليل سكاكيني ، و "هموم الشباب" لعبد الرحمن بدوي ، و "سبعون" لميخائيل نعيمة . و جميع الكتب المذكوره محاولات فنية متكاملة في السيرة الذاتية.

أسلوب العرض في السيرة الذاتية:–

و يختلف أسلوب العرض في السير الذاتية و يتوقف على ذوق الكاتب في معالجة الموضوع . يؤثر البعض الأدباء على استخدام أسمائهم مباشرة كما يفضل البعض على إخفاء أسمائهم .

فطه حسين في "الأيام" و أحمد أمين في "حياتي" و سلامة موسى في "تربية سلامة موسى"وميخائيل نعيمة في" سبعون" يعرضون أسمائهم صريحة ، و لكن يستخدم الآخرون الأسماء المستعارة فتختفي شخصياتهم كما فعل عبدالرحمن شكري في"يوميات مجنون" و مصطفى الرازق في "مذكرات الشيخ الفرازي" وتكتبها بعضهم بضمير الغائب ، كما يفعل فارس الشدياق و طه حسين أو يكتب بعضهم بضمير المتكلم كما يكتب أحمد أمين و وميخائيل نعيمة و سلامة موسى .جعل طه حسين بين المئولف وبطل القصة فصلا مديدا، فهو مئولف كتابه ولكن يفصل بين وجوده كأ وككاتب كما نلاحظ مخاطبا لابنته " و فهمت و فهم أبوك و فهمت أنا ايضا".[٤٧]

أهمية القيم الفنية في السيرة:–

إن الأدب العربي مليئى بالسير والتراجم و لكن غياب الشعور والتعبير يجعلها تاريغا فحسب، فلا يوجد فيها التحليل النفسي كما لا يوجد فيها العناصر الفنية. و هكذ تختفي تلك السير الذاتية مع مرور الزمان، لأنها لا نستطيع أن تحيا في نفوس الناس لامن جانبها الفني. يشير ميخائيل نعيمةإلي تلك السير قائلا." إن كل ما يرويه الناس عن الناس باسم التاريخ ليس إلا رغوة متطايره فوق بحر الحياة الانسانية [٤٨] ومأساة السير القديمه هي أنها مجرد الحوادث والوقائع عادية من العناصر الأدبية مثل الوحدة والبناء والترتيب و التحليل كما يقول سيد قطب، إن القيم التعبيرية والشعورية عنصران مهمان في السيرة، فاذا خلت السيرة منهما فهي مجرد سرد الحوادث والوقائع، مهما بلغ من الدقة والتفصيل والتحليل، إنما هو المادة الخامة التي تصنع منها السيرة.[٤٩]

النتيجة:–

لا حظنا في هذا المقال أن السيرة الذاتية كانت ظاهرة قديمة في الأدب العربي ولم يشهد هذا الجنس الأدبي دراسات جارة إذا قارناه بالأجناس الادبية الأخرى كالرواية والمسرحية أما الدارسون الذين ناقشوا السيرة الذاتية. سواء كان نقاشهم مودعا في فصل محدد من كتاب بعينه أو كانت دراسة مستقلة . فإنهم تباينت آراؤهم حول الجنس الأدبي . إذا قدم كل منهم تعريفا للسيرة الذاتية يختلف جزئيا او كليا عن الآخر.

المصادر والمراجع

١.احسان عباس ."فن السيرة" ، ص:١٣٢.

٢.احسان عباس ."فن السيرة" دارالثقافة بيروت ،ط ٢ –١٩٥٦دارالجيل ،بيروت لبنان.ط١ – ١٩٣٢

٣.عبدالدايم ، يحي ،التراجم الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دارالجيل ، بيروت لبنان، ط١– ١٩٩٢

٤Ibid,P.no.214.

٥. عبدالنور، جبور–المعجم الأدبي ، دارالعلم للملايين، لبنان ط ٢، ص:١٤٣.

٦.شرف،عبدالعزيز" أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العلمية للشر، لونجمان، مص ،١٩٩٢،ص ٤٢.

٧.كلمة الترجمة آرامية نقلت الي العربية، ولم تستعمل الا في أوائل القرن السابع الهجري علي يد أبي عبدالله ياقوت الحموي (٥٧٤–٦٢٦ه) في مؤلفه معجم الأدباء و آدابها (حياة الشخص) و باتت مرادفة لكلمة سيرة في معظم الكتب التي تناولت السيرة.أنظر عبدلادايم يحي الترجمة الذاتية في الأدب العربي ،ص :٣.

٨.الحديدي ، عبدالطيف : فن السيرة بين الذاتية و الغيرية في ضوءالنقد الحديث ، دارالسعاده للطباعة ، القاهره ط: ١، ١٩٩٠،ص:٦٧

٩.ابراهيم عبدالدايم يحي، ١٩٢٢م." الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث– بيروت– دارأحياء التراث الأدبي (ص: ٣٠-٣١)

١٠.ابراهيم عبدالدايم يحي، ١٩٢٢م." الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث– بيروت– دارأحياء التراث الأدبي (ص: ٣٠)

١١.عبدالفتاح شاكر، تهاني –٢٠٠٢م . السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث الطبعة الأولى بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

. ١٢.عبدالفتاح شاكر، تهاني –٢٠٠٢م . السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث الطبعة الأولى بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص(١٤–١٥)

Edition ١٣Naik DG, Art of Autobiography, Vidasbha Marathwada Book company Poona ,India 1st 1962

١٤Chambers Encyclopaedia Vol.1 George Newness Limited,London pp.843-44

١٥.عباس، احسان، فن السيرة ، دارالثقافة، بيروت ط ٢،١٩٥٦. ص :١١٣

١٦.محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية .قراءة في التجربة السيرية شعراء الحداثة العربية.عام الكتب الحديث،إربد، العراق ط ١، ٢٠٠٨ ،ص:٤

١٧.عبدالدايم يحي .الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ص :٣

عبدالدايم يحي .الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ص :١٨٣.

١٩.دريد بن الصمة، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دارالكتب العربية ، بيروت، ط ١،ص:٥٧٧.

٢٠.تهاني عبدالفتاح شاكر. السيرة الذاتية في الأدب العربي. فدوي طوقان و جبر ابراهيم جبر، احسان عباس نموذجا،المؤسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن، ط، ١، ٢٠٠٢،ص:٣٧.

٢١.المرجع نفسه، ص:٣٧

٢٢..المرجع نفسه، ص:٣٨

٢٣.شوقي صيف:الترجمة الشخصية، دارالمعارف، القاهره، ط ٤، ١٩٧٨ ص:١٧–١٨

٢٤.تهاني عبدالفتاح شاكر:السيرة الذاتية في الأدب العربي(ص:٦٧)

٢٥.المرجع نفسه(ص:٤٥–٤٩)
٢٦. تهاني عبدالفتاح شاكر :السيرة الذاتية في الأدب العربي(ص: ٦٧)
٢٧.شوقي ضيف:الترجمة الشخصية ، دارالمعارف ، القاهره، ١٩٨٧ ، ص١٠٥
٢٨.نعتبر أول سيرة ظهرت في العصر الحديث ، فيها تنقلات الشدياق و بعض أحواله، راجع ذلك في كتاب أحسان عباس في فن السيرة ،ص: ١٣٠.
٢٩.تهاني عبدالفتاح شاكر. السيرة الذاتية في الأدب العربي.ص: ٧٠–٧١.
٣٠.خالد الكركي: طه حسين روائيا، مكتبة الرائد العلميه ، دارالجيل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢،ص:١١٣.
٣١.المرجع نفسه. ص:١١٥
٣٢.مصطفي الصاوي والجوني: في الأدب العالمي.
٣٣.إحسان عباس :فن السيرة، ص: ١٣٥.
٣٤.المرجع نفسه، ص: ١٣٧.
٣٥.تهاني عبدالفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ،ص: ٨٠)
٣٦.المرجع نفسه: ص: ٨١.
٣٧.عباس احسان:فن السيرة ،ص: ١٣٩.
٣٨.إحسان، فن السيرة:دارللطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦،ص:١٠٢
٣٩.نقلا عن عبدالمحسن طه بدر تطور الرواية العربية الحديثة، دارالمعارف بمصر، الطبعه الثانية.١٩٦٨، ص:٣١٤
٤٠.ميخائيل نعيمة ، المجلد الثالث من المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دارالعلم للملايين، بيروت ، ١٩٧٩،ص:١٢
٤١.احسان عباس ، فن السيرة.ص:١٢٢.
٤٢.عبدالمحسن طه بدر. تطور الرواية العربية الحديثة،ص:٢٩٩.
احسان عباس ، فن السيرة.ص:١٢٢. ٤٣.
٤٤.فصول من السيرة ، بقلم أبو المعاطي أبو النجا، مقالة ظهرت في مجلة"العربي"، العدد ٣٥٢ مارس ١٩٨٨، ص:٣٧
٤٥.احسان عباس "فن السيرة" ص:١٢٠–١٤١.
٤٦.محمود عبدالغني حسن، التراجم والسير،ص:٢٣–٢٧والنظر أيضا، احسان عباس "فن السيرة" ص:١٢٠–١٤١.
٤٧.طه حسين، الأيام الجزء الأول، دار المعارف بمصربدون زمان ،ص:١٤٢.
٤٨. ميخائيل نعيمة، المجلد الثالث المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩،ص:٧
٤٩.سيد قطب الشهيد "النقدالأدبي" دارالفكر العربي، بدون زمان.ص:٩

حكيمات العرب قبل الإسلام

الأستاذ عبدالسلام عبدالمجيد المحتسب
مشرف تربويّ في وزارة التربية والتعليم بالأردنّ
للمراسلة : abood101533@yahoo.com

ملخّص البحث:

يسعى هذا البحث إلى إبراز مكانة المرأة العربيّة قبل الإسلام من خلال عرض نماذج من أشعارهنّ ونثرهنّ، وتسليط الضوء من خلال ذلك على اتّجاهٍ عقليّ راقٍ ظهر عند العرب، وهو الحكمة التي تدلّ على قدرتهنّ على التفكير والتأمُّل في قضايا الكون والإنسان والحياة، وأنّهنَّ كُنَّ يتصدَّرْنَ الأسواق الأدبيّة عند العرب؛ وذلك لأنّهنّ أُشتُهِرْنَ بالفصاحة والبلاغة وفنّ القول وسداد الرَّأي والقدرة على إطلاق الأحكام والفصل في المنازعات الأدبيّة.

الكلمات المفتاحيّة: المرأة، العصر الجاهليّ/ قبل الإسلام، الحِكمة، حكيمات.

تمهيد:

تبوّأت المرأة العربيّة قبل الإسلام مكانة مرموقة، وقد عَرف المجتمع الجاهليّ نوعين من النساء: إماء وحُرّات. أما الإماء فهنّ كثيرات، وكان منهنّ جوارٍ يخدِمْنَ الحرائر الشريفات، وكُنَّ يرعين الإبل والأغنام، فهنَّ في منزلة دانية. وكُنّ إذا وَلَدْنَ لم يُنسب أولادهُنّ إلى آبائهم حتى يظهروا شجاعة فائقة تردّ إليهم اعتبارهم.

وأما الحُرّات فقد كان لهنّ منزلة سامية رفيعة في نفوس العرب، وهي ما كانت تقوم به من طهي الطعام وتربية الأولاد وإصلاح الخباء، وغير ذلك من الأعمال، ولم يكن ذلك كلّه ينقص من منزلتها الرفيعة[73].

(73) انظر: ضيف،شوقي،**العصرالجاهليّ**،دارالمعارفبمصر،القاهرة، 1961م ، ص: 72.

ولذلك فقد كانت المرأة تقف مع الرجل جَنْباً إلى جَنْب، و"النّساء شقائق الأقوام"[74]، أي الرجال.

وقد كانت المرأة تشغل جلّ اهتمام العرب وتفكيرهم، ولو لم تكن كذلك ما استُهِلَّتْ مطالع قصائدهم بذكرها مهما كان غرض القصيدة[75]؛ فقد استهلّ دريد بن الصِّمَّةَ مرثيّته لأخيه الذي قتلته بنو عبس بقوله [من الطّويل][76]:

أرثَّ جديد الحبل من أمّ مَعْبَدِ بعاقِبَـةٍ وأَخْلَفـتْ كُـلَّ موعـدِ

والعربيّ عندما يخاطب المرأة يلقّبها بألقاب فيها تكريم وإكبار[77]، فهو تارةً يناديها بأبيها العظيم كما فعل عروة بن الورد [من الطّويل][78]:

أقِلّي عليّ اللومَ يا ابنةَ مُنْذِرِ ونـامي وإن لـم تشـتهي النـوم

وقد يلقّبها باسم ابنها إعزازاً لها[79]، وذلك كقول عروة بن الورد في امرأته سلمى [من الوافر][80]:

ذَكَـرْتُ منـازلاً مـن أمّ وَهْـبٍ محـلّ الحيّ أسـفل ذي النَّقيرِ

وقد يصغّر اسمها تدليلاً وتحبُّباً كما فعل تأبّط شرّاً [من المتقارَب][81]:

تقـــول سُـــليمى لجاراتهـــا أرى ثابتـاً قـد غـدا مُـرْمِلا

وقد يناديها باسمها مُجرَّدا كما فعل امُرؤ القيس في معلَّقته الشهيرة [من الطويل][82]:

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلُّل وإن كنـتِ قـد أزمعـتِ صَـرمي

([74]) الميدانيّ،أبوالفضلأحمدبنمحمّد (ت 518هـ)،**مجمعالأمثال**،جزءان، تحقيقمحمّدمحييالدينعبدالحميد،دارالفكر،ط3، 1972م، 29/1.

([75]) انظر: الصَّبَّاغ،ليلى،**المرأةفيالتاريخالعربيقبلالإسلام**،وزارةالثّقافة،دمشق، 1973م، ص: 371.

([76]) دريدبنالصِّمَّة،دريدبنمعاويةبنالحارث (ت 8هـ)،**الديوان**،تحقيقوشرحمحمدخيرالبقاعي،دارقتيبة،دمشق، 1981م، ص: 45.

([77]) انظر: الحوفي،أحمد،**المرأةفيالشعرالجاهليّ**،دارالفكرالعربي،القاهرة،ط2، 1963م، ص: 200.

([78]) عروةبنالورد (ت 30ق.هـ)،**الديوان**،تحقيقعبدالمعينالملّوحي،وزارةالثقافةوالإرشادالقوميّ،دمشق، 1966م، ص: 66.

([79]) انظر: الحوفي، أحمد، **المرأة في الشعر الجاهليّ**، ص201.

([80]) عروة بن الورد، **الديوان**، ص: 57. ذو النَّقير: موضع بين هَجَر والبَصرة. وقال ابن السِّكّيت: ذو النَّقير موضع وماء لبني القَيْن من كلب، وقيل: موضع نَقير فيه الماء (معجم البلدان، ياقوت الحموي، 301/5).

([81]) البَصْريّ،صدرالدينعليّبنالحسين (ت 656هـ)،**الحماسةالبَصْريّة**، جزءان،تحقيقمختارالدينأحمد،عالمالكتب،بيروت،ط3، 1983م، ص: 24.

([82]) امرؤالقيس،ابنحُجْرالكنديّ (ت 80ق.هـ)،**الديوان**،تحقيقمحمّدأبوالفضلإبراهيم،دارالمعارفبمصر،القاهرة، 1958م ، ص: 12.

والمرأة هي التي تلهب حماس الرجال عندما يشتدّ الوطيس. فيستمدّون من صوتها شجاعةً لا تلين وعزيمة لا تَفْتُر، فقد ذكر الطبريّ أنّه "لمَّا اشتدّ القتال بين العرب والعجم في يوم ذي قار تقدَّمت من العرب قبيلة عِجْل، وأبلت يومئذٍ بلاءً حَسَناً، واضطمَّت عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلكت عِجْل، ثم حملت بكر فوجدوا عِجْلاً ثابتةً تقاتل وامرأة منهم تقاتل وتحرّض الرجال على القتال بقولها [من مجزوء الرَّجَز]:

إنْ تَهزمـــــوا نُعـــــانِقْ ونفـــــرش النَّمـــــارِقْ

أو تُـــــدبروا نُفـــــارِقْ فـــــراق غيـــــر وامِـــــقْ"[83]

مفهوم الحكمة لُغَةً واصطلاحاً:

الحكمة لغة هي "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وأَحْكَمَ الأمر: أتقنه، ويقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمَتْهُ التجارب. والحكيم هو المتقن للأمور، والحكيم هو صاحب الحكمة،وقال الأصمعيّ: وكذلك قول النابغة (الذُّبيانيّ) [من البسيط]:

واحكُمْ كحُكْمِ فتاة الحيّ إذ إلى حَمامٍ شِراعٍ وارد الثَّمَدِ

أي كُن حكيماً كفتاة الحيّ، أي إذا قُلْتَ فأصِبْ كما أصابت هذه المرأة، إذْ نظرت إلى الحمام فأحْصَتْها ولم تُخطئ عددها"[84].

أمّا الحكمة اصطلاحاً فهي "قول رائع يتضمَّن حكماً صحيحاً مُسَلَّماً به"[85]، وهي أيضاً "قول بليغ موجز يكشف خلاصة التجربة القاسية في الحياة وصوت العقل الواعي لكلّ تجربة يمرُّ بها الحكيم"[86].

وتدلّ حكم الجاهليّين على رقيّ عقولهم وتفكيرهم وتأمّلهم في قضايا الحياة والإنسان، وتمثّل

([83]) الطبريّ،محمدبنجرير (ت 310هـ)،**تاريخالرسلوالملوك (تاريخالطبريّ)**، 11ج،تحقيقمحمّدأبوالفضلإبراهيم،دارالمعارفبمصر،القاهرة، 1963م، 208/2. اضطمَّ عليه النّاس: اي ازدحموا ودنوْا بعضهم إلى بعض (لسان العرب، ابن منظور: ضَمَّ).

([84]) الجوهريّ،أبونصرإسماعيلبنحمّاد (ت 393هـ)،**الصِّحاح**،6ج، تحقيقأحمدعبدالغفورعطّار،دارالعلمللملايين،بيروت،ط4، 1990م. وابنمنظور،أبوالفضلجمالالدينمحمّدبنمكرم (ت 711هـ)،**لسانالعرب**،دارصادر،بيروت،الطبعةالسادسة، 1997م: حَكُمَ. والنابغةالذُّبيانيّ،زيادبنمعاويةبنضباب (ت 18ق.هـ)،**الديوان**،جمعهوشرحهوعلَّقعليهمحمدالطاهربنعاشور،الشركةالوطنيّةللنشروالتوزيع،الجزائر، 1976م ، ص: 84. فتاة الحيّ: هي زرقاء اليمامة. شراعٍ: مجتمعة، وروبت "سِراعٍ". الثَّمَدَ: الماء القليل الذي يكون في الشتاء ويجفّ في الصيف (الديوان، ص: 84: الحاشية).

([85]) الجنديّ،علي،**فيتاريخالأدبالجاهليّ**،مكتبةدارالتراثللنشروالتوزيع،المدينةالمنوّرة،ط1، 1991م، ص: 260.

([86]) السُّيوفيّ،مصطفى،**تاريخالأدبالعربيّفيالعصرالجاهليّ**،الدارالدوليّةللاستثماراتالثقافية،القاهرة، (د.ت)، ص: 247.

ثمرة تجاربهم الطويلة وفطنتهم ونظراتهم الثاقبة وبصائرهم النافذة في الناس وطبائعهم وأخلاقهم والماضين ومصائرهم[87].

وتمتزج بالحِكَم الأمثال والوصايا لدرجة يصعب معها أحياناً التمييز بينها؛ فالحِكَم والوصايا تُعَدُّ من منابع الأمثال ومصادرها[88].

والحِكمَة والمَثَل عبارة موجزة بليغة، إلاّ أنّها غايةٌ في بلوغ المعنى المقصود، وكلٌّ من الحكمة والمثَل يردان في الشعر والنثر، ولكنّهما أكثر دوراناً في النثر[89].

أشهر حكيمات العرب قبل الإسلام:

ذكر محمود شكري الألوسيّ أنّه "كان في نساء العرب أيّام الجاهليّة ذوات كمال، ووفور معرفة، ومزيد فطانة وذكاء، وحدّة نظر، حتّى تزيَّنَتْ بذكرهنّ صحف التواريخ، وقد دُوِّنت كتب ودواوين مشهورة في شعرهنّ وفصاحة كلامهنّ، وكان منهنّ جملة اشتُهِرْنَ بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة[90]، ومنهنّ:

هند بنت الخُسّ الإياديّ

هي هند بنت الخُسّ بن حابس بن قُرَيْط الإياديّ، وهي جاهليّة قديمة أدركت القلَمَّس الكِنانيّ، وهو أحد حكّام العرب[91]. وذكر ابن الأعرابيّ في نوادره أنّ ابنة الخُسّ من العماليق وهم من بقايا قوم عاد[92]. وقد اشتهرت بالفصاحة وفنّ القول، وقيل إنّها كانت تحاجي الرجال، ونُسِبَ إليها أسجاع كثيرة، وجاء عنها بعض الأمثال والحكم المشهورة، وروي لها شعر قليل[93].

([87]) انظر: الجبوريّ،يحيى،**الشعر الجاهليّ خصائصه وفنونه**،مؤسّسةالرسالة،بيروت،الطبعةالخامسة، 1986م، ص: 403.

([88]) انظر: القيسي،نوريحمودي ورفاقه،**تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**،دارالحريّةللطباعة،بغداد، 1979م، ص: 253.

([89]) انظر: الجنديّ، علي، **في تاريخ الأدب الجاهليّ**، ص: 260.

([90]) الألوسيّ،محمودشكري،**بلوغ الأرَب في معرفةأحوال العرب**، 2ج،عنيبشرحهوتصحيحهوضبطهمحمدبهجةالأثَريّ،دارالكتبالحديثة،القاهرة،ط3، 1923م، 338/1، 339.

([91]) انظر: الزَّبيديّ،أبوالفيض محمّدبن محمّدبن عبدالرَّزاق الحسيني "مُرْتَضى" (ت 1205هـ)،**تاج العروس من جواهرالقاموس**،10ج، دارمكتبةالحياة،بيروت، 1997م: خَسَّ. والألوسيّ، محمود شكري، **بلوغ الأرب**، 339/1.

([92]) انظر: السّيوطيّ،عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)،**المزهرفي علوم اللُّغة وأنواعها**،2ج، شرحه وضبطه وصحَّحه محمدأحمدجادالمولى وآخرون،دارالجيل،بيروت، 2000م، 545/2.

([93]) انظر: الزَّبيديّ، **تاج العروس**: خَسّ. والألوسيّ، **بلوغ الأرَب في معرفة أحوال العرب**، 339/1.

وقد اختُلِفَ في اسمها، فقيل: هي جُمَعَة، وقيل: هي بنت الخُسّ وبنت الخُصّ، وبنت حابس. ومن قال إنها بنت حابس فقد نَسَبها إلى جَدّها كما حقّق ذلك غير واحد من أهل العلم، ويدلّ هذا على أنّها امرأة واحدة، وأمّا جُمَعة فقيل إنّها أختها، وقال آخرون إنها ليست أخت هند، وإنّما هي حاكمة أخرى[94].

وزعم بعض الرّواة أنّ هنداً بنت الخُسّ ماتت في زمن النُّعمان بن المنذر عند هند ابنته، واستشهدوا على ذلك بقول الفرزدق [من الطويل][95]:

وفَيْتَ بعهدٍ كان منك تكَرُّماً كما لابنة الخُسّ الإيادي وفَتْ

وعقّبَ الألوسيّ على ذلك بقوله: "وليس الأمر كذلك، وإنّما مراد الفرزدق أنّ هنداً وفَتْ لأختها جمعة ابنة الخس لا أنّها عند ابنة النُّعمان"[96].

وقد عدّها الجاحظ " من أهل الدّهاء والنَّكراء، ومن أهل اللَّسَن واللَّقَن، والجواب العجيب، والكلام الفصيح، والأمثال السّائرة، والمخارج العجيبة"[97].

حِكَمٌ ووصايا:

من حِكم ابنة الخُسّ ووصاياها الشعريّة ما قالَتْه في تفضيل العقل على المال وترك الجُبْن والتأخّر عن القتال، وذمّ البُخل، والإشادة بالكرم، وعدم ازدراء المرء لصورته وشكله، وإنّما الاهتمام بفِعاله والمقارنة بين الرجال في أفعالهم. وكانت هند وجُمَعة بنتا الخُسّ الإياديّ قد وردتا سوق عُكاظ واجتمعتا عند أحد حكّام العرب وهو القَلَمّس الكنانيّ، فألقى عليهما أسئلة ليعلم أيّهما أبسط لساناً وأظهر بياناً وأحسن للصفة إتقاناً، فأشاد بحسن جوابهما[98]، ثمّ طلب منهما أن تقولا شعراً تصفان به تجربتهما في الحياة وخبرتهما بالرجال، فقالت هند بنت الخُسّ في ذلك [من الطويل][99]:

([94]) انظر: المصدرين السابقين، والمادّة والصفحة نفسها.

([95]) الألوسي،**بلوغ الأرب**، 339/1. لم أجد هذا البيت للفرزدق في ديوانه ولا في كتاب النقائض لأبي عبيدة معمر بن المثنّى.

([96]) الألوسي،**بلوغ الأرب**، 339/1.

([97]) الجاحظ،أبوعثمان عمروبن بحر (ت 255هـ)،**البيان والتبيين**،4ج، تحقيق عبدالسلام محمّدهارون،دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع، 1980م ، 52/1.

([98]) انظر: ابن طيفور،أبوالفض لأحمدبن أبي طاهر (ت280هـ)،**بلاغات النّساء**،حقّقه وعلّق عليه عبدالحميدالهنداوي،دارالفضيلةللنشروالتوزيع،القاهرة، 1998م، ص124.

([99]) المصدر نفسه، ص: 130، 131. "أعُدُّه": في الأصل "أُعِدُّه"، والصّواب ما أثبتُّه. "النَّثا" في الأصل "النَّثا"، وهذا خطأ، والصواب ما أثبتُّه.

وَجَدْتُ وخيرُ القول في الحُكْمِ ذوي الطَّوْل ممّا قد يَعُمُّ
ولـيس الفتى عنـدي بشـيءٍ إذا كـان ذا مـالٍ مـن العقـلِ
وذو الجبنِ ممّا يُسعرُ الحربَ يهـيجُ منهـا نارُهـا ثـمّ يَخْـنِسُ
وكَمْ من كثير المالِ يَقْبِضُ كَفَّه وكـم مِـن قليـل المـال يُعطـي
وكَمْ من صَغيرٍ تزدريه لَعَلَّهُ يهـيجُ كبيـراً شَـرُّهُ مُتـبجِّسُ
وكمْ مِن مُرَاء ذي صَلاحٍ وعِفَّةٍ يُخاتـلُ بـالتّقوى هـوى الـذئب
وآخرَ ذي طِمْرَيْنِ صاحب نيّةٍ يجودُ بأعمال التُّقي ثمّ يُنْفِسُ
وكـم مـن سَـفيهٍ للجماعـة يَـدِبُّ لشـرٍّ بيـنهم ويوسـوسُ
وذو الظلم مذموم النَّثا ظاهر غَنِـيٍّ عـن الحسـنى وبالشـرِّ

فالأبيات تكشف عن تجربة الشاعرة في الحياة وخبرتها الثاقبة بالرجال وأحوالهم في السلم والحرب؛ فلا خير عندها في المرء إن كان ذا غِنىً وليس له عقل. وهي تذمّ الرجال الّذين يثيرون الحرب بألسنتهم ثمّ يتأخّرون عند القتال، وتذمّ كثير المال الذي لا يجود بماله، وتمدح قليل المال الذي يعطي كلّ ما لديه. وترى أنّ الرجال ليسوا بصورهم وأشكالهم، ولا ينبغي للمرء أن يحتقر صغير الشأن، فإنّما المرء بحسن فعاله؛ وكم من مُرَاءٍ يلبس لباس العفاف والتقوى يخدع الناس بمظهره، مُشْبِهاً بذلك الذئب الأملس، وكم من رجل فقير الحال يلبس ثياباً بالية لا يُنظر إليه ولا يُؤبَهُ له قد جاد بأعمال الخير على الناس وفَرَّج همومهم، وكم مِن سفيهٍ يمشي بين الناس مُسْتَخْفِياً يزرع الشرّ والحقد بينهم؛ فالظالم مذموم بين الناس لأنّه يُعرض عن الأعمال الحسنة، ويُظهر البذاءة والفُحش في الكلام ويلازم الشرّ أينما ذهب.

وتوصي هندٌ في أبيات أخرى بأن يسلّم المرء بالقضاء والقدر، وتذكّره بأنّ ماله صائر إلى الزوال، ولا يبقى له في الدنيا غير أفعاله الكريمة وأخلاقه الحسنة التي تخلّد ذكره بين الناس، إذ تقول [من

الطَّوْل: الفضل والغني اليُسْر. يُلبسُ: مِن: أَلْبَسَ عليه الأمر، أي اشتبه واختلط. يَخْنِس: يتأخّر. يَسلِسُ: يلين ويسهل. تزدريه: تحتقره. مُتَبَجِّس: متفجّر، مندفع. يُخاتل: يخادع، من الفعل: خَتَل، وخَتَلَهُ خَتْلاً وخَتَلاناً: خَدَعه عن غفله. الأملسُ: إقواء، إذا الأصل: "الأمْلَس"، ولكنّ الشاعرة غيَّرت حركة الرَّويّ من الكسرة إلى الضمّ للضرورة الشعريّة. الطِّمْر: الثوب البالي. يُنْفِس: يفرّج الكرب. يَدِبّ: يمشي مستخفياً. النَّثا: ما أخبرتَ به عنالرجل من حُسْنٍ أو سوء. الخَنا: الفُحْش في الكلام (لسان العرب، ابن منظور: طالَ، لَبِسَ، خَنَسَ، سَلِسَ، زَرَى، بَجَسَ، خَتَلَ، طَمِرَ، نَفَسَ، دَبَّ، نَثَا، خَنَا، عَرِسَ).

الطويل][100]:

لقد أَيْقَنَتْ نفس الفتى غير وإن عاش حيناً أنّه سوف
ويشرب بالكأس الذُّعافِ ويركب حدّ الموت كُرهاً
وكم من أخي دنيا يُثَمِّرُ مالَه سيورثُ ذاك المال رغماً ويتركُ
عليك بأفعال الكرام وليهم ولا تكُ مِشْكاساً تَلِجُّ وتَمحكُ
ولا تكُ مَزَّاحاً لدى القوم لعبةً تظلُّ أخا هُزْءٍ بنفسك
تخوض بجهلٍ سادراً في فُكاهةٍ وتدخلُ في غَيِّ الغُواة وتُشرِكُ
ألا رُبّ ذي حظٍّ يُبَصَّرُ فِعْلُهُ وآخرَ مصروفٌ في الحظِّ يُؤْفَكُ

فالأبيات تشير إلى حكمة مفادها أنّ نفس المرء قد أيقنتْ حقيقة الموت وأن لا خلود له في الدنيا مهما عاش فيها، وأنّه لا بُدّ من أن يصير إلى الهلاك. وهي تحضّ فيها المرء على أن يتخلّق بأخلاق الكرام من الرّجال، وأن يكون لَيِّناً في طبعه، وأن يتخلّى عن الجشع والطمع وحب المال، لأنّه لا بُدّ من أن يخلّفه وراءه لغيره. وتوصيه أيضاً ألاّ يكون صعب الخُلُق متمادياً في مخاصمته للناس، وألّا يكون كثير المزاح حتى لا يستخفّ به قومه ويصبح لُعبةً عندهم، وألاّ يخوض في الجهل ويشرك غيره في الغَواية والباطل. وتطلب منه أن يتّعظ بغيره ولا يتّعظ بنفسه فيكون بذلك سفيهاً ضعيف العقل.

أمثال سائرة:

لم تقتصرالمرأة الجاهليّة على خوض غِمار الشعر فَحَسْب،بل ارتادَتْ ميدان النثر أيضاً من قول بديع، وقد حَوتْ كتب الأمثال بعض ما ورد على لسانها من قول فصيح بليغ وصادق مّما

صار مثلاً يضرب، وقد رسمت هذه الأمثال بعض صور حياتها في الجاهلية[101].

ومن تلك الأمثال السائرة على ألسنة الناس والتي قالتها هند بنت الخس الإياديّ:

"أَخْبَثُ من ذِئب الغَضَى"[102]:

([100]) ابن طيفور، **بلاغات النّساء**، ص: 131، 132. الذُّعاف: السُّمّ القاتل. تَلِجُّ: تتمادى في الخصومة. تَمْحَكُ: تتمادى في المنازعة في الكلام عند المساومة والغضب. السّادر: الذي لا يبالي بما صنع. الغَيّ: الضّلال. يُؤفَكُ: من الإفْك، وهو ضعف العقل (لسان العرب: ذَعَفَ، لَجَّ، مَحَكَ، سَدِرَ، غَوَى، أَفِكَ).

([101]) انظر: الصَّبّاغ، ليلى، **المرأة في التاريخ العربيّ قبل الإسلام**، ص: 368.

قال حمزة بن الحسن الأصفهاني: "العرب تسمّي ضُروباً من البهائم بضروب من المراعي تنسبها إليها، فيقولون: أرنب الخُلّة وضَبّ السَّحا وظَبي الحلب، وتَيس الرَّبلة، وقُنفذ بُرْقَة، وشيطان الحَماطة، وذلك على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان، وفي أسجاع ابنة الخُسّ: أخبث الذئاب ذئب الغَضى، وأخبث الأفاعي أفعى الجَدْب، وأسرع الظِّباء ظِباء الحَلْب"[103].

"أَخْطَفُ من قِرِلَّى"[104]:

والقِرِلَّى كما ذكر حمزة بن الحسن الأصفهاني: "طَيْرٌ مِن بنات الماء، صغير الجِرْم حديد الغوص سريع الاختطاف، ولا يُرى إلاّ مُرَفْرِفاً على وجه الماء على جانبٍ ما كطيران الحِدَأة يهوي بإحدى عينيه إلى قَعرْ الماء طمَعاً، ويرفع الأخرى إلى الهواء حذراً؛ فإنْ أبصرَ في الماء ما يستقلّ بحمله من سَمَكٍ أو غيره انقضَّ عليها كالسَّهم المُرْسَل فأخرجه من قَعْر الماء، وإنْ أبصر في الهواء جارحاً مَرّ في الأرض.

وكما ضربوا به المثل في الاختطاف، كذلك ضربوا به المَثل في الحذر والحزم، فقالوا: أَحْذَرُ مِن قِرِلَّى..."[105].

ولذلك أوصت ابنة الخُسّ: كُنْ حَذِراً كالقِرِلَّى، إنْ رأى خيراً تَدلَّى، وإنْ رأى شرّاً تولَّى"[106].

([102]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 259/1. الغَضَى: " شجر، والغضى من نبات الرمل له هَدَب كهدَب الأرطى، وذئاب الغضى هم بنو كعب بن مالك بن حنظلة، سُمّوا بذلك لخُبثهم؛ لأنّ ذئب الغضى أخبث الذئاب" (لسان العرب، ابن منظور: غَضَى، ذَؤُبَ).

([103]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 259/1. وقد عقد الجاحظ في كتابه الحيوان فصلين هما: المضاف إلى النبات من الحيوان، والمضاف من الحيوان، ذكر فيهما ما أورده الأصفهاني من ضروب الحيوان ونسبتها إلى النبات، وعلّق بقوله: "وكذلك يقولون: ما هو إلاّ قُنفذ بُرقة، لأنه يكون أخبث له، وذلك كلّه على قدر طبائع البلدان والأغذية العاملة في طبائع الحيوان" (كتاب الحيوان، الجاحظ، 134/4، 123/6. وقال الثعالبيّ: " فيفرّقون بينها وبين غيرها إمّا في السِّمَن وإمّا في القوّة، والله أعلم" (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبيّ، ص: 415).

الخُلّة: شجرة شاكةٌ، والخُلّة كلّ نَبت حلو، وقال ابن سِيدَة: الخُلّة ما كانت فيه حلاوة من المرعى، وقيل: المرعى كلّه حَمْض وخُلّة، والخُلّة تكون من الشجر وغيره. السَّحَا: شجرة شاكَةٌ أيضاً وثمرتها بيضاء، وهذا النبت يأكلُه الضَّبّ، والسَّحَا من كلّ شيءٍ قِشره، والسَّحا بقلةٌ تحسن حالة مَن أكَلها. الضَّبّ: حيوان من جنس الزّواحف، غليظ الجسم خَشِنُه، وله ذَنَب عريض خش أعقد. الظَّبي: الغزال. الرَّبْل: ضرب من الشجر إذا بَرِدَ الزَّمان عليها وأدبر الصيف تقطَّرت بورق أخضر من غير مطر، والجمع رُبول. بُرْقَة: أصل البرقة في كلامهم الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان، قال ياقوت الحمويّ: "وقد اجتمع لي مِن براق العرب مئة بُرقة ما أظنّها اجتمعت لغيري، وقد أُضيفت كلّ برقة منها إلى موضعٍ". الحَماطة: بلغة هُذَيل شجر عِظام تنبت في بلادهم تألفهم الحيّات، والحَماط أيضاً: شجر التين الجَبليّ. والشّيطان هنا الحيّة. الجَدْب: المَحْل والقَحْط، وهو نقيض الخِصْب (لسان العرب، ابن منظور: خَلَّ، سَحَى، ظَبا، رَبَلَ، حَمَطَ، جَدَبَ. والقاموس المحيط، الفيروزباديّ: خَلَّ، سَحَى. وكتاب الحيوان، الجاحظ، 134/4، 123/6: الحاشية. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، 390/1).

([104]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 261/1. والثعالبيّ،أبومنصورعبدالملك بن محمّدبن إسماعيل النيسابوريّ (ت 429هـ)،**ثمارالقلوب في المضاف والمنسوب**،تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة،مؤسسةالرسالة،بيروت،ط6، 1965م، ص: 492.

([105]) المصدران ذاتاهما والصفحات نفسها.

([106]) الثعالبيّ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص: 492.

وقد خالف رواة النسب التفسير الذي ذكره حمزة الأصفهاني، فقالوا: "قِرِلَّى هو اسم رجل من العرب، كان لا يتخلّف عن طعام أحد، ولا يترك موضع طَمعٍ إلاّ قَصَد إليه، فإنْ صادَفَ في طريقٍ يسلكه خُصومةً تَركَ ذلك الطريق ولم يمرّ به، فقالوا فيه: (أَطْمَعُ من قِرِلّى)..."[107]، قال حمزة: "وأقول أنا: خَليقٌ أن يكون هذا الرجل شبّه بهذا الطائر، وسُمِّيَ باسمه"[108].

" قُرْبُ الوِساد وطول السِّواد"[109]:

يُضرب هذا المثل للأمر الذي يُلقي صاحبه في المكروه من غير إرادته[110]، وذلك لشدّة قربه منه ودوام نظره إليه. وأصل المثل أنّ هندًا بنت الخُسّ كانت قد زَنَتْ مع عبدٍ لها، فقيل لها: "ما حَملَكِ على أن زَنَيْتِ مع عقلك ورأيك وأنت سيّدة قومك؟ فقالت هذه المقالة، وأرادت: قرب مضجع الرجل منّي وطول مُسارَّته لي، ... وذلك أن المُسارّ يدني شخصه مِن شخص مَنْ يُسارُّه، فيقال ساوَرَه، أي أدنى سَواده من سَواده"[111].

وقد عَقَد الجاحظ في كتابه "الحيوان" باباً بعنوان (أثر التَّكرار في خُلُق الإنسان) أيَّد فيه هذه المقالة، إذ يقول: "وبابٌ آخر ممّا يدعو إلى الفساد، وهو طول وقوع البصر على الإنسان الذي في طَبْعه أدنى قابل، وأدنى حركةٍ عند مثله. وطول التداني، وكثرة الرؤية هما أصل البلاء، كما قيل لابنة الخُسّ: لِمَ زَنَيْتِ بعبدك ولم تزني بحرّ، وما أغراكِ به؟ قال: طول السِّواد، وقرب الوِساد.

ولو أنّ أقبح الناس وجهاً، وأنتنَهُمْ ريحاً، وأظهرَهُمْ فقراً، وأسقطَهُمْ نَفْساً، وأوضعهم حَسَباً، قال لامرأة قد تمكَّن من كلامها، ومكَّنته من سَمْعِه: والله يا مولاتي وسيّدتي، لقد أسْهَرْتِ ليلي، وأرَّقْتِ عيني، وأَشْغَلْتِني عن مُهِمّ أمري، فما أَعقِلُ أهلاً، ولا مالاً، ولا ولداً؛ لَنقَضَ طباعَها ولفسخَ عَقْدَها، ولو كانت أبرع الخَلْق جمالاً، وأكملَهم كمالاً، وأملحهم مِلْحاً. فإن تهيّأ مع ذلك من هذا المتعشِّق، أن تدمع عينهُ احتاجت هذه المرأة أن يكون معها وَرَعُ أمِّ الدَّرداء، ومُعاذة العَدويّة، ورابعة القيسيّة، والشَّجّاء

([107]) المصدر نفسه، ص: 492. والميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 261/1.

([108]) الثعالبيّ، **ثمار القلوب**، ص: 492. والميداني، **مجمع الأمثال**، 262/1.

([109]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 93/2. والعَسكريّ،أبوهلال الحسن بن عبدالله (ت395هـ)،**كتاب جمهرةالأمثال**، 2ج،تحقيق محمدأبوالفضل إبراهيم،دارالجيل،بيروت،ط2، 1988م، 126/2. الوِساد: المُتَّكَأ. السِّواد: المُسارّة، وهو قرب السَّواد من السَّواد، يعني الشخص من الشخص (لسان العرب، ابن منظور: وَسَّد، سَوَدَ).

([110]) انظر: الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 93/2. والعسكريّ، **وكتاب جمهرة الأمثال**، 126/2.

([111]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 93/2. والعسكري، **كتاب جمهرة الأمثال**، 127/2.

الخارجيّة"[112].

زَرقاء اليمامة

هي جاهليّةٌ قديمة، وهي بنت لُقْمان بن عاد، وهي ملكة اليمامة، واليمامَةُ اسمها، فسميّت البلد باسمها. وقيل إن اسمها "عَنْز"، وهي إحدى النّساء الثلاث زُرق العيون الزَّبَّاء والبسوس[113]. وقال الجاحظ: "قال أبو عمرو بن العلاء: "داهيتا نساء العرب: هند الزرقاء، وعَنْز الزَّرقاء، وهي زرقاء اليمامة"[114]، وقال أيضاً: "فَمِن الزُّرق مِن النساء ... زرقاء اليمامة، وهي عَنْز، من بنات لقمان بن عاديا ... وكانت البسوس زرقاء وكانت الزَّبّاء زرقاء"[115].

وضُرِبَ بزَرقاء اليمامة المَثَل في حدّة البصر، فقيل "أبصر من زرقاء اليمامة"[116]، وذُكِرَ أنّها "كانت تبصر الرّاكب من مسيرة ثلاثة أيّام"[117].

وقد ذكرها النّابغة الذُّبيانيّ في شعره من قصيدة يخاطب بها النُّعمان بن المنذر، ويعاتبه ويعتذر إليه مما اتُّهِمَ به عنده[118]، وهو قوله [من البسيط][119]:

فـاحكُمْ كحُكْـمِ فتـاة الحيّ إذْ نظرتْ ... إلى حَمـامٍ شِـراعٍ وارِدِ الثَّمَـدِ
يَحُفُّـه جانبـا نِيـقٍ وتُتْبِعُـهُ ... مثلَ الزُّجاجةِ لـم تُكْحَـلْ مـن الرَّمَدِ
قالت ألا لَيتما هذا الحَمَامُ لَنَا ... إلى حمامتنـا أو نِصْـفُهُ فَقَـدِ
فَحَسَّـبُوه فـأَلْفَوْهُ كمـا ذَكَـرتْ ... تسـعاً وتسـعينَ لـم تَنْقُصْ ولـم تَزِدِ

([112]) الجاحظ،أبوعثمان عمروبن بحر (ت 255هـ)،**كتاب الحيوان**،6ج، تحقيق وشرح عبدالسلام محمّدهارون،دارالكتاب العربي،بيروت،ط3، 1969م ، 169/1، 170.

([113]) انظر: البغداديّ،عبدالقادربن عمر (ت 1093هـ)،**خزانةالأدب ولُبّلُباب لسان العرب**،13ج، تحقيق وشرح عبدالسلام محمّدهارون،مكتبةالخانجي،القاهرة، 1981م،254/10.

([114]) الجاحظ، **البيان والتبيين**، 313/1.

([115]) الجاحظ، **كتاب الحيوان**، 331/5.

([116]) الميداني، **مجمع الأمثال**، 414/1.

([117])البغداديّ،**خزانةالأدب ولُبّلُباب لسان العرب**،255/10.

([118]) انظر: المصدر نفسه، 253/1.

([119]) النابغة الذُّبياني، **الديوان**، ص: 84، 85. وخزانة الأدب، 253/10، 254. شِراع: جمع شارِع، أي قاصد شريعة الماء، وروي "سِراع" بالسين المهملة: جمع سَريع. الثَّمَد: الماء القليل الذي يجفّ في الصيف. يَحُفُّه: اي يكون من ناحيته. نيق: جَبل. مثلَ الزُّجاجة: اي عيناً كالزُّجاجة في الصَّفاء. الرَّمَد: وَجَع العين. قَدْ: أي حَسْب، وهي هنا اسم فعل (ديوان النابغة، ص: 84، 85: الحواشي).

فَكَمَّلَتْ مِئَةً فيها حمامتُها وأسرعت حِسْبَةً في ذلك

وقد أراد الشاعر بفتاة الحيّ: زَرْقاء اليمامة، وأراد بقوله: "فاحكُمْ كحُكْمِ": أي كُن حكيماً كهذه الفتاة، أي أَصِبْ في أمري كإصابتها في حَدْسها بالنَّظَر"[120]، وقال الأصمعيّ: "معنى احكُمْ أي كُنْ حكيماً كفتاة الحيّ، إذ أصابت ووضعتْ الشيء في موضعه، قال: وهي لم تحكُم، إنّما قالت شيئاً كانت فيه حكيمةً، قالت: فأَصِبْ كإصابتها ولا تقبل مِمَّن سعى عليّ"[121]، وقال الجواليقيّ: "الحُكْم: الحِكمة"[122]، وقال تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا)، أي حِكمة[123].

ومن أشهر حِكَم زَرقاء اليَمامة أبياتها التي حذَّرت فيها قومها جَديس بعد أن قتلوا رَجُلاً من "طَسْم"، فهرب واحدٌ منهم إلى حَسّان بن تُبَّع الحميريّ، فَحرَّضه على قوم الزرقاء ورغَّبه في الغنائم، فجهَّز حَسَّان إليهم جيشاً، فلمَّا صاروا على مقربة مِن "جَوّ" على مسيرة ثلاث ليالٍ صعدت زَرقاء ونظرت إلى الجيش - وقد أُمِروا أن يحمل كلّ رجل منهم شجرة يستتر بها - فقالت لقومها: "لقد سارت إليكم الشَّجَر"[124]، وقالت في ذلك شعراً تحذّر قومها [من البسيط][125]:

خُذوا حِذَراكُمُ يا قومِ يَنْفَعُكُمْ فليس ما قد أرى بالأمس
إنّي أرى شجراً من خلفها بَشَرٌ وكيف تجتمعُ الأشجار والبَشَرُ
خُذوا طَوائِفكُمْ من قبل من الأمور التي تُخشى وتنتظِرُ
فقد زَجَرْتُ سَنيحَ القوم باكرةً لو كان يعلم ذاكَ القوم إذْ
إنّي أرى رجلاً في كفّه كَتِفٌ أو يَخصفُ النَّعْلَ خَصْفاً ليس

([120]) البغداديّ، **خزانة الأدب**، 254/10.

([121]) النّابغة الذُّبيانيّ، **الدّيوان**، ص: 14: الحاشية.

([122]) الجواليقيّ،أبومنصورموهوب بن أحمد (ت 450هـ)،**شرح أدب الكاتب لابن قتيبة**،تقديم مصطفى صادق الرّافعيّ،مكتبةالقدسيّ،القاهرة، 1350هـ ، ص: 128.

([123]) سورة القصص، الآية: 14. والبغداديّ، **خزانة الأدب**، 354/10.

([124]) النُّويريّ،شهاب الدّين أحمدبن عبدالوهاب البكريّ (677هـ)،**نهايةالأرَب في فنون الأدب** ، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1949م، 341/15. والبغداديّ، **خزانة الأدب**، 255/10. جَوّ: اسم لناحية اليمامة، وإنّما سميّت اليمامة بعد باليمامة الزّرقاء في حديث طَسْم وجَديس، ... (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، 190/2).

([125]) البغداديّ، **خزانة الأدب**، 263/10، 264. الزَّجْر: هو العِيافة، وهو ضرب من التكهُّن عند العرب. السَّنيح والسَّانح: ما ولاّك مَيامِنه من ظَبيٍ أو طائرٍ أو غيرها، والبارح: ما ولاّكَ مَياسِرَه، والعرب تتفاءل بالسَّانح وتتشاءم بالبارح. يَخصِفُ نَعْلَه: يَخرِزُه ويخيطه. يُبتَدَرُ: يُتَسارع إليه. الوِرد: ورود القوم الماء. الصَّدَرَ: رجوعهم وانصرافهم عنه (لسان العرب: سَنَحَ، خَصَفَ، بَدَرَ، وَرَدَ، صَدَرَ).

فَغَـوّروا كـلَّ مـاءٍ قبـل ثالثـةٍ فليس من بَعْدِه وِرْدٌ ولا صَدَرُ
وناهِضُـوا القـومَ بعـض الليـل ولا تخـــافوا لهـــم حربـــاً وإنْ

فلم يصدّقها قومها، فلم يلبثوا أنْ صَبَّحهم حسّان بجيشه بعد أربعة، فقتل رجالهم وسَبَى نساءهم، وأخذ الزرقاء فقَلعَ عينها، فوجد فيها عروقاً سوداً من الإثمِد، إذ كانت تكتحل به، وهي أوّل مَن اكتحل بالإثْمِد من العرب، وصَلَبها على باب جوّ فُسمّيَتْ بذلك اليمامة[126].

الزَّبّاء

اخُتلِفَ في اسمها، فقيل هي: نائلة أو نابِلَة أو بارِعَة، وقيل مَيسون، وهي بنت عمرو بن الظَّرِب أحد أشراف العرب وحكمائهم. ولُقِّبَتْ بالزَّبّاء لكثرة شعرها، والزَّبّاء تأنيث الأزَبّ وهو الكثير الشَّعَر[127]. وقد نالت الزَّبّاء شهرة واسعة بين العرب، ووُضعت حولها القصص، وذُكِرَ أنّها امرأة من العماليق وأمّها من الرُّوم، وكانت تغزو الجيوش، وهي التي غزت ماردِاً والأَبْلَق، فاستعصَيا عليها لِمَنَعتهما[128].

وذكر ابن الكلبيّ أنّ جَذيمة الأبرش كان من العَاربة الأولى من بني وَبار بن أُمَيْم بن لوذ بن سام بن نوح[129]، وكان "مِنْ أفضل ملوك العرب رَأياً، وأبعدهم مُغاراً، وأشدّهم نِكايةً، وأظهرهم حَزْماً، وأوّل من استجمع له المُلْك بأرض العراق، وضَمَّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به بَرَص،.. فقيل جَذيمة الوضّاح وجَذِيمة الأبرش..."[130]. وكان ملك العرب بأرض الجزيرة (الفُراتيَّة) ومشارف الشّام عمرو ابن الظَّرِب بن حَسَّان بن أُذَيْنة العَمليقيّ، فأراد جَذيمة غزوه فجمع له جموعاً من العرب، والتقى بعمرو ابن الظَّرِب - وقد جمع له جموعاً من الشام - فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِل عمرو بن الظَّرِب

([126]) انظر: الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 114/1. والبغداديّ، **خزانة الأدب**، 264/10. الإثْمِد: حجر يُتّخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، وقيل هو الكحل نفسه، وقيل: شبيه به (لسان العرب: ثَمَدَ).

([127]) انظر: الزبيديّ، **تاج العروس**: زَبَبَ. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، 625/4.

([128]) انظر: علي،جواد،**المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 10ج،دارالعلم للملايين،بيروت،مكتبةالنهضة،بغداد،ط1، 1972م، 625/4. ماردِ: حصْن بدومة الجندل، وفيه وفي الأبلق قالت الزَّبّاء وقد غزتهما فامتنعا عليها: "تمرَّدَ ماردٌ وعَزَّ الأبلق"، فصارت مثلاً لكلّ عزيز ممتنع. الأبلق: حصن السَّمَوْأَل بن عادِياءَ اليهوديّ، وهو المعروف بالأبلق الفرد، مشرف على تَيماء بين الحجاز والشّام...، وإنّما قيل له الأبلق لأنّه كان في بنائه بياضٌ وحُمْرَة (معجم البلدان، ياقوت الحموي، 38/5، 75/1) وسيأتي ذكرهما لاحقاً.

([129]) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطّبريّ)**، 613/1.

([130]) الأصفهانيّ،أبوالفرج عليّ بن الحسين (ت 356هـ)،**كتاب الأغاني**، 25ج،تحقيق إحسان عبّاس وإبراهيم السعافين،دارصادر،بيروت،ط2، 2004م، 213/15. والطبريّ، **تاريخ الطّبريّ**، 613/1.

وانفضَّتْ جموعه، وانصرف جَذيمة بمَنْ معه سالمين غانمين[131].

ومَلكَتْ الزَّبّاء من بعد أبيها عمرو، وكان لها من الفرات إلى تَدْمُر، وأجمعت على غزو جذيمة الأبرش للثأر لأبيها، وكان جنودها بقايا من العماليق والعاربة الأولى. وكان جَذيمة قد استخلف على مُلْكه ابن أخته عمرو بن عديّ اللَّخْميّ، فاحتالت عليه - في خبر طويل - وأرسلت في طلبه مُدَّعيةً رغبتها في ضمّ ملكها إلى مُلْكه، ثم قتلته. وخرج رجلٌ من قوم جَذيمة - وهو قَصير بن سعد اللخميّ - قاصداً عمرو بن عديّ بالحيرة يحرّضه للثأر لخاله من الزَّبّاء، فَوافَقَهُ، واحتال قَصير على الزَّبّاء فَجدَع أنفه، ثمّ انطلق حتى دخل على الزَّبّاء، وادّعى أنّ عَمراً هو مَنْ جَدَع أنفه! ثم ركب عمرو بن عديّ في ألفي فارس مُدَجَّجين بأسلحتهم على ألف بعير وساروا إلى الزَّبّاء، فلمّا رأت ثقل مشي الجمال قالت، وقيل إنَّه مصنوع منسوب إليها [من الرَّجَز]:

ما للجِمال مَشْيُها وَئيدا أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أم حديدا
أم صَرَفاناً بارداً شديدا أم الرجال جُثَّماً قُعودا

وتلقّى عمرو بن عديّ الزَّبّاء بالسيف فقتلها، وقيل إنّها مَصَّتْ خاتمها - وكان فيه سُمّ - وخربت المدينة، وسُبِيَتْ الذَّراريّ، وغَنِمَ عمروٌ كلّ مُلْكها[132].

ومن أشهر أقوال الزَّبّاء:

"تَمرَّدَ مارِدٌ وعَزَّ الأَبْلَق"[133]:

كانت الزَّبّاء قد حاصَرَت مارداً دومة الجندل والأبلق حِصْن تيماء، وهما حِصْنان قَوّيان، فاستصعبا عليها، فقالت هذا القول، وصار مثلاً للعزيز المَنيع الذي لا يُقْدَرُ على النَّيل منه، ولكلّ ما

([131]) انظر: الأصفهانيّ، **كتاب الأغاني**، 213/15، 214. والطبريّ، **تاريخ الطَّبريّ**، 618/1. وابن الأثير،أبوالحسن عليّ بن أبي الكرم "عزالدين الجَزريّ" (ت 630هـ)،**الكامل في التاريخ**،10ج، تحقيق أبي الفداءعبدالله القاضي،دارالكتب العلميّة،بيروت،الطبعةالأولى، 1987م، 265/1.

([132])الأصفهانيّ، **كتاب الأغاني**، 214/15–217. والطبريّ، **تاريخ الطَّبريّ**، 618/1–625. وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 265/1–269. وَئيدا: بطيئاً متأنّياً. الجَنْدَل: الحجارة. الصَّرَفان: ضَرْب من أجود التَّمْر وأوزنه، وقيل: الرَّصاص (لسان العرب، ابن منظور: وَأَدَ، جَنْدَلَ، صَرَفَ).

([133]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 126/1. والثعالبيّ، **ثِمار القلوب في المُضاف والمنسوب**، ص: 521. والبكريّ،أبوعبيدعبدالله بن عبدالعزيزالأندلسيّ (ت487هـ)،**فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**،تحقيق إحسان عبّاس،مؤسّسةالرسالة،بيروت،ط2، 1983م، ص: 130. "وهذان الحِصنان للسموأل بن عادياءَ اليهوديّ، وكان مارِدٌ مبنيّاً من حجارة بيض، والأبلق من حجارة سود وبيض (فصل المقال، ص: 130، 131). ولسان العرب: مَرَدَ، بَلَقَ.

يصعب ويمتنع على طالبه[134].

لِأَمْرٍ ما جَدَعَ قَصيرٌ أَنْفَه"[135]

كان قَصير بن سعد اللخميّ قد احتال على الزَّبّاء ليمكِّن عمرو بن عديّ اللخميّ منها، فدَخَل عليها وقد جَدَعَ أنفه، فلمّا رأته قالت هذا القول فذهبَ مثلاً[136]. ويُضرب لمن اتّخذ الحيلة والمكر والخديعة وسيلة لتحقيق غرض في نفسه.

"عَسَى الغُوَيْرُ أَبؤُساً"[137]

قال الأصمعيّ: "أصل هذا أنّه كان غارٌ فيه ناس فانهار عليهم، وأتاهم فيه عدوّ فقتلوهم، فصار مَثَلاً لكلّ شيء يُخاف أن يأتي منه شرّ، ثمّ صُغِّرَ الغار فقيل غُوَيْر"[138]، وخالفه الميدانيّ فقال: "الغوير: تصغير غار. والأَبؤُس: جمع بُؤس، وهو الشدّة. وأصل هذا المثل في ما يقال من قول الزَّبّاء حين قالت لقومها عند رجوع قَصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه: "عَسَى الغُوَيْر أَبؤُساً" أي لعلّ الشرّ يأتيكم من قبل الغار، فصار مثلاً"[139]، وقال أبو عُبَيْد البكريّ: "تقول عسى أن يأتي ذلك الطريق بسوء واستنكرت شأنه حين أخذها على غير الطريق"[140]. ومعنى هذا أنّه يُضرب مثلاً للشرّ الذي يصيب الإنسان من قِبَلِ مكان أو شخص لا يتوقّعه، وقال الأصمعيّ: "يُضرب مثلاً للرّجل يُخْبِر بالشرّ فَيُتَّهَم به"[141]، والقول الأوّل هو الأرجح.

([134]) انظر: الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 126/1. الثعالبيّ، **ثمار القلوب**، ص: 520، 521.

([135]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 196/2. والزّمخشريّ،أبوالقاسم محمودبن عمر (ت538هـ)،**المُستقصى في أمثال العرب**،2ج، دارالكتب العلميّة،بيروت،ط2، 1977م ، 240/2: "لأمر ما حظّ قصير أنْفَه"، ورواية الميدانيّ أكثر شيوعاً، ولذلك أثبتُّها في المتن.

([136]) انظر: الطبريّ، **تاريخ الطبريّ**، 623/1.

([137]) الهَرويّ،أبوعُبَيْدالقاسم بن سلاّم (ت224هـ)،**كتاب الأمثال**،حقّقه وعلّق عليه عبدالمجيد قطامش،دارالمأمون للتراث،دمشق،ط1، 1980م، 300/1: "ومن أمثالهم في التُّهمة: عَسى....". والعسكري، **كتاب جمهرة الأمثال**، 50/2. والبكريّ، **فصل المَقال في شرح كتاب الأمثال**، ص: 424. والميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 17/2. وابن منظور، **لسان العرب**: غَوَرَ، بأَسَ.

([138]) البكريّ، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، ص: 424.

([139]) الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 17/2.

([140]) البكريّ، **فصل المقال**، ص: 424.

([141]) العسكريّ، **كتاب جمهرة الأمثال**، 50/2.

"بِيَدي لا بيد عمرو"[142]

ذكر الطبريّ وابن الأثير أنّ الزَّبّاء لمَّا أرادت الهروب من النَّفق الذي أعدَّته لنفسها تلقَّاها عمرو بن عديّ اللخميّ بسيفه ليقتلها، فمَصَّتْ خاتمها - وكان فيه سُمّ - وقالت: "بيدي لا بيد عمرو"، فذهَبَ قولها مثلاً[143]. ويضرب "لمن يُنزِلُ بنفسه المكروه مخافة أن ينزله به العدوّ"[144].

وقد اعتمدت حكيمات العرب في حِكَمِهنّ وأمثالهنّ واقوالهنّ على فكرهنّ الثاقب وثقافتهنّ الواسعة ومعرفتهنّ بشرائع الأمم المجاورة والحضارات السَّالِفَة، واعْتَمَدْنَ أيضاً على تجاربهنّ الحياتيّة وتجارب المجتمع الجاهليّ، وقدرتهنّ على التعميم السليم لإصدار أحكامهنَّ في فصل الخصومات والوصول إلى مُسَلَّمات تضبط علاقات أفراد المجتمع ببعضهم بعضاً وتسيّر مجموع الحياة الاجتماعيّة.

ويمكن القول إنّ المرأة الجاهليّة قد تمثَّلَتْ ثقافة عصرها بكلّ مكوّناتها، ووَعَتْ وَعْياً عميقاً ما كان يتناقله قومها في مجالس سَمَرهم الليليّة وما كانوا يتبادلونه من أخبار الماضين[145]، ولذلك فقد حَفِظَ لنا التاريخ أسماء جُملةٍ من حكيمات العرب قبل الإسلام مع أخبارهنّ وآدابهنّ.

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة إلى أنّ المرأة العربيّة قبل الإسلام تبوَّأَتْ منزلة مرموقة؛ إذْ كانت محطّ اهتمام شعراء الجاهلية في مطالع قصائدهم؛ فهي شرفهم الذي يحامون عنه ويحافظون عليه، وهي أيضاً التي تهيّجهم لقتال أعدائهم وتلهب حماسهم فلا يجبنوا عند اللقاء.

ولم تكن المرأة لتغيب عن تصوير مشاهد البيئة العربية ووصف مجريات حياة العرب؛ فقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب أخبارها وأبرز حكمها وأمثالها ووصاياها بألفاظ فصيحة بليغة موجزة ذات معانٍ عظيمة، وكشفت عن تجاربها الحياتيّة الذّاتيّة الصادقة وخبراتها الثاقبة بالكون والحياة والإنسان، وثقافتها الواسعة العميقة الدقيقة بأحوال العرب. وقد أسهم ذلك كلّه في بناء منظومة القيم والأخلاق عند العرب قبل الإسلام.

([142]) المصدر السابق، 203/1، 226. والميدانيّ، **مجمع الأمثال**، 236/1: "بيدي لا بيد ابن عديّ".

([143]) انظر: الطبريّ، **تاريخ الطبريّ**، 625/1. وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 268/1، 269.

([144]) العسكريّ، **كتاب جمهرة الأمثال**، 226/1.

([145]) انظر: المرجع نفسه، ص: 392، 393، 399.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم "عز الدين الجَزريّ": الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
2. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النّساء، حقّقه وعَلّق عليه عبد الحميد الهنداوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة، 1997م.
4. الأصفهانيّ، أبو الفرج عليّ بن الحسين: كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عبّاس وإبراهيم السعافين، دار صادر، بيروت، ط2، 2004م.
5. الألوسيّ، محمود شكري: بلوغ الأرَب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثَريّ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط3، 1923م.
6. امرؤ القيس، ابن حُجْر الكنديّ: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1958م.
7. البَصْريّ، صدر الدين عليّ بن الحسين: الحماسة البَصْريّة، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
8. البغداديّ، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981م.
9. البكريّ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عبّاس، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م.
10. الثعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النيسابوريّ: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1965م.
11. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980م.
12. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1969م.
13. الجبوريّ، يحيى: الشعر الجاهليّ، خصائصه وفنونه، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة،1986م.
14. الجنديّ، علي: في تاريخ الأدب الجاهليّ، مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، المدينة المنوّرة، ط1، 1991م.
15. الجواليقيّ، أبو منصور موهوب بن أحمد: شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، تقديم مصطفى صادق الرّافعيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، 1350هـ.
16. الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد: الصِّحاح، تحقيق أحمد عبد الغَفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.
17. الحمويّ، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1997م.
18. الحوفي، أحمد: المرأة في الشعر الجاهليّ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1963م.
19. دريد بن الصِّمَّة، دريد بن معاوية بن الحارث: ديوان دريد بن الصِّمَّة، تحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، 1981م.

20. الزَّبيديّ، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرَّزاق الحسيني "مُرْتَضى": تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1997م.
21. الزَّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر: المُستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1977م.
22. السّيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحَّحه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، بيروت، 2000م.
23. السُّيوفيّ، مصطفى: تاريخ الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ، الدار الدوليّة للاستثمارات الثقافية، القاهرة، (د.ت).
24. الصَّبَّاغ، ليلى: المرأة في التاريخ العربي قبل الإسلام، وزارة الثّقافة، دمشق، 1973م.
25. ضيف، شوقي: العصر الجاهليّ، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1961م.
26. الطبريّ، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبريّ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1963م.
27. عروة بن الورد: ديوان عروة بن الورد، تحقيق عبد المعين الملّوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1966م.
28. العَسكريّ، أبوهلال الحسن بن عبد الله: كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.
29. علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1972م.
30. الفيروزباديّ، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسّسة الرسالة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م.
31. القيسي، نوري حمودي: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحريّة للطباعة، بغداد، 1979م.
32. الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمّد: مجمع الأمثال، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.م)، ط3، 1972م.
33. النابغة الذُّبيانيّ، زياد بن معاوية بن ضِباب: ديوان النابغة الذُّبيانيّ، جمعه وشرحه وعلَّقَ عليه محمد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.
34. النُّويريّ، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب البكريّ: نهاية الأرَب في فنون الأدب، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1949م.
35. الهَرويّ، أبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم: كتاب الأمثال، حقّقه وعلَّق عليه عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1980م.

مرثية المرأة في ديوان الوزير جنيد: دراسة وصفية

د. مرتضى بن عبد السلام الحقيقي/ د. علي عبد القادر العسلي[146]

المقدمة:

لم تحظ مرثية المرأة بعناية الوزير جنيد[147]في ديوانه إلا في قصيدة واحدة أبدى فيها مهارته الشعرية برثاء حواء؛ أخت شيخه أبي بكر "بوبي"، فكان ذلك نقطة انطلاقة سديدة في مراثي علماء نيجيريا المعاصرين، حيث تَركّز موضوع القصيدة على الإحساس الفردي الأنثوي في تعداد الصفات الحميدة والقيم العظيمة. وقديما أشار ابن رشيق القيرواني إلى خطورة طبيعة هذا الموضوع بقوله: "من أشدّ الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات"[148]، فقد أصبح ميدانا زلّت فيه أقدام كثير من الشعراء الفحول، يكفي دليلا على ذلك الضجة الكبرى التي نعتْ على المتنبي في رثائه لأم سيف الدولة، مع كونه فحلا من فحول العرب[149]. ولكن هذا ليس موضع الانتقاص في جنيد، لقد برع في رثاء هذه المرحومة (حواء) بأحسن الندب والتأبين، وسيحاول الباحثان استشفاف هذه الظاهرة بدراسة نقدية بناءة على أسس اختبار القيم الفكرية والفنية كما يلي.

أ- القيم الفكرية

---

[146] جامعة ولاية بوتشي، غطو-نيجيريا / جامعة ولاية يوبي، دماترو- نيجيريا.

[147]- هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غداد بن ليمُ، الفلاني. ولد في مدينة صكتو عام1906م، ينتمي إلى الأسرة الفلاتية من جهتي الوالدين. تعلّم من كبار شيوخ صكتو على منهج الدهليز المنتشر عهدئذ حتى أصبح نابغة زمانه في العلم، خاصة التاريخ والشعر. له اتجاه شعري متميز من حيث الإبداع الجميل خاصة في الوصف الذي يعدّ رائده. توفي سنة 1996م، وخلفه أولاد وأحفاد مباركون، منهم البروفيسور سمو ولي جنيد، الأستاذ الكرسي بقسم اللغة العربية في جامعة عثمان بن فودي- صكتو، نيجيريا، والوزير الحالي لإمارة صكتو الإسلامية.. للوزير جنيد آثار علمية وأدبية قيمة تربو على أربعين كتابا، جلّها مخطوطة. منها ديوانه الأزهار الذي يشتمل على أغراض شعرية موروثة، تحتل الشكوى حيزا كبيرا منه، وفيه مرثية المرأة واحدة فقط، فهي محور دراسة هذا المقال. لمزيد من المعلومات ينظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان، تأليف الوزير جنيد بن محمد البخاري، مخطوط بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو- نيجيريا، تحقيق شيخ عبيد الله قورا غودا، ص14.والوزير جنيد حياته وآثاره، للبروفيسور سمبو ولي جنيد، مخطوط بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا، ص3، والمطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور ثمبو ولي جنيد، مجلة النهضة، العدد الثاني عام1999م، مركز الدراسات الإسلامية، بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا، ص148، وكذلك الأبعاد الفنية في أشعار الوزير جنيد لمحمد المبارك محمد التكينة، رسالة أكاديمية لنيل درجة الماجستير في جامعة أحمد بلو، زاريا، نيجيريا، عام1980-1981 ص3.

[148]- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار المعارف، بيروت، د.ط.ت، ص818.

[149]- القيرواني، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

تبلور هذه المرثية قيما فكرية دائرة حول الندب والتأبين فقط، دون أن يتطرق الشاعر إلى العزاء الذي يعدّ جزءاً مكتملا لعيون المراثي لدى النقاد[150]، وسبب ذلك واضح في مطلع القصيدة، حيث أفصح الوزير بتعسر العزاء عليه:

عظم المصاب فعزّ فيه عزاء# ونما البكاء ولا يفيد بكاء[151]

فانطلق بناء هذا على ذلك إلى ذرف الدمعة الحارة، معبّرا عن لذعة الفجيعة وشدة التلهف، تحير منها الفؤاد دون أن يهتدي الطريق إلى التجلّد، أو يناله الشفاء الناجع، ولا تزال العيون تسكب مدرارا مثل المزنة الهطلاء. يا له من ابتلاء عظيم جعل الشاعر مكتئبا ملهوفا ازدادت به الوحشة واستولى عليه الهموم إثر نعي وفاة حواء:

حار الفؤاد فليس يبصر مسلكا # للصبر أو يأتي إليه شفاء

وجرى الدموع على الخدود كأنها # فوارة أو مزنة هطلاء

وبقيتُ مكتئبا وزادتْ وحشتي # وجزعتُ يوم توفيتْ حواء

لا رزء أعظم عندنا من فقدها # قد أزعجت من موتها الصلحاء[152]

هذا هو عين الرثاء الحزين والندب الأليم عند ما تُبيّن لنا هذه الأبيات بحرارتها تلك النازلة العظيمة التي اشتد على الناس فيها العزاء، وتضجر بسببها الصلحاء. ويبدو أن الشاعر موفّق في هذا الندب إلى حد كبير حيث أحسن البكاء بكاء صادقا ينبئ عن علاقته المتينة بالفقيدة، وهي علاقة نابعة من أصل نقي، ليست من أجل القرابة النسبية فحسب[153]، بل لما تحلت به الفقيدة من خصال حميدة وسجايا طيبة، وكلها دوافع قوية أملت على الشاعر لينحدر من خلجان نفسه المنطفحة بحزن دفين. لاحظ قول الشاعر حين يعدّد محاسن الفقيدة على وجه التأبين وذلك من البيت السادس إلى السابع عشر:

ميمونةٌ أخلاقُها مرضيةٌ # أفعالُها شهدت به النبلاء

---

[150]-الدكتور طه حسين وآخرون، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، د.ط، 1950م، ص175.

[151]- الوزير جنيد بن محمد البخاري، روائح الأزهار من روض الجنان، (ديوان شعر)، نسخة مصورة مخطوطة بمكتبة الدكتور مرتضى بن عبد السلام الحقيقي الخاصة، ص87.

[152]- المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

[153]- محمد المبارك محمد التكينة، المرجع السابق، ص56.

أحسن بها صوّامة قوّامة # ومتينة في دينها شماء

زهّادة ورّاعة درّاسة الـ # قرآن قد شهدت بذي الآناء

وتبيت دائمة الخشوع لربّها # ولذكره حتى يفي الإمساء

ويظلّ ذكر الموت يزعج قلبها # وبربّها أنى يكون اللقاء

دأبا تحذّر عن متابعة الهوى # علمت بذي القرباء والبعداء

ويسرّها ما سرّ أهل الله من # قول وفعل نفسها سمحاء

أبدا تحاسب نفسها وتراقب الـ # مولى على ما تفعل الرقباء

وتبيت باكية العيون لخوفه # بتواضع يرضى به الأدباء

نفّاعة للناس بالتفسير والـ# إقراء قد شكرت لها الطلباء

حمّالة الأثقال بل حنّانة # للمعتقين وكفها معطاء[154]

تلكم هي صفات مستوحاة من نزعة إنسانية إسلامية، تجسّدت في شخصية المرحومة بالفعل لا المجاملة، فلذلك أطنب الشاعر من ذكرها على وجه الاستقصاء المبالغ، فهي ميمونة الأخلاق، مرضية الأفعال، مشهودة لدى النبلاء، صوّامة، قوّامة، متينة الدين، زهّادة، ورّاعة، درّاسة القرآن...دائمة الخشوع لربّها، لازمة الذكر طول يومها، ذاكرة الموت خوفا من لقاء ربّها، بعيدة عن متابعة الهوى، طيّبة النفس مراقبة حقوق ربّها، مذرفة الدموع لخشية ربّها، نفّاعة للناس بتعليمهم القرآن الكريم وتفسيره، كريمة حمالة الأثقال للمساكين المحتاجين... ثم أبدى الشاعر عجزه عن الإحاطة بشمائل الفقيدة ونعوتها الكريمة وأن تلك الصفات المذكورة قلة من كثرتها قائلا:

ما كنتُ أقدر عدّ هاتيك الحلى # يكفي القليل وفي القليل كفاء[155]

والملحوظ أن المحامد الإسلامية هي التي مهّدت الطريق للشاعر ليتنفس بهذه الصفات وعقدها على الفقيدة إلى حد تكاد تكون القصيدة تشبع بالقيم الإسلامية الغراء.

ب- القيم الفنية

العاطفة: تمتاز عاطفة الشاعر في هذه المرثية بالصدق، حيث أدّاها بأسلوب قوي رائع، يدل على عقيدته وما امتلأت به نفسه من صدق تجاه الفقيدة حتى لا يدع له ذلك مجالا للعزاء، فأفرغ

[154]- ديوان الوزير جنيد، المصدر السابق، ص88.

[155]- ديوان الوزير جنيد، المصدر السابق، ص88.

هذه الشحنة الحزينة من البيت الأول إلى السابع عشر، معبّرا عن صدق العاطفة بإظهار فزعه وتأسفه وشدة بكائه على الفقيدة وسجاياها الحميدة.

والملاحظة أن هذا الأداء الفني صادقٌ لما آمن به الشاعر وتحقّق في الفقيدة، ففعلا، شاهد جنيد هذه الخصال الحميدة – التي حفزته إلى هذا الرثاء – لدى المرحومة أيام التلمذة، إضافة إلى كونها كعبة القرآن يطوف حولها طلبة العلم من القرى المجاورة لمدينة صكتو[156].

ويمكن القول إن أبيات هذه المرثية ليست على مستوى واحد في قوة العاطفة، حيث نتلقاها في أواخرها باردة فيضعف إحساسُنا بهذه الحرارة الحزينة ويفتر، دلالة على عدم ثبات العاطفة، ولربما العلة في ذلك راجعة إلى إكثار الشاعر من الدعاء على الفقيدة دون أن يتعمّق في نقل الإحساس القوي وتمثيله تمثيلا حيّا للتجربة، بجعل مشاعره تجري في كل جزئية من المرثية في تدفق وقوة بأريحية تجدد لها نبضتها وحيويتها، خروجا عن الأحاسيس السطحية التجريدية. وتتجلى هذه العاطفة أيضا من حيث السمو، ذات قيم إنسانية عالية تدوم بها القصيدة، لاستسقائها من معين الأفكار الصافي، الذي يُمدّ بلذة حياة يجب أن تسعى وراءها البشرية.

التصوير: لم يغص الشاعر في الألوان التخييلية أو البيانية بالكثرة في ثنايا هذه المرثية، حيث قلّت الظاهرة التصويرية قلة تنبئ عن إرسال الوزير نفسه على طبيعتها، ولعل ما يمكن إدراكه من أنماط التصوير قوله:

عظم المصاب فعزّ فيه عزاء # ونما البكاء ولا يفيد بكاء

حار الفؤاد فليس يبصر مسلكا # للصبر أو يأتي إليه شفاء

وجرى الدموع على الخدود كأنها # فوارة أو مزنة هطلاء

تصوير جميل وخيال دقيق بصورته الكلية لسرد هذه الحادثة الأليمة أوالنكبة الشديدة التي عزّ فيها العزاء وتعالى البكاء دون أن يجدي، وحار الفؤاد دون أن يُشفى، وانهمرت الدموع... وهذا الخيال الكلي ساعد الشاعر على إلهاب الشعور لدى المتلقي واستمالته إلى المشاركة النفسية الوجدانية الفعالة دون أدنى الشك، وكما لعبت دورا وجدانيا صورٌ من الطاقة البيانية كالتشبيه التمثيلي في البيت الثالث:

وجرى الدموع على الخدود كأنها # فوارة أو مزنة هطلاء

[156]- محمد المبارك محمد التكينة، المرجع السابق، ص56.

تشبيه الدموع الجارية على الخدود بالمنبع المتدفق ماؤه أو المزنة الغزيرة المتتابعة إلى الأرض كثرة بشدة الفوران والتدفق. وراعى الكناية في البيت السادس عشر لأداء مغزى خيالي نفسه في إيصال المعنى البليغ حيث قال:

حمّالة الأثقال بل حنّانة # للمعتقين وكفها معطاء

فجملة "حمالة الأثقال"، كناية بديعة عن لطف المرحومة ورفقها وشفقتها، وأنها تعين على قضاء حاجات الآخرين ورفع مؤوناتهم، وفي قوله: "كفها مدرار" كناية عن الكرم والجود والإنفاق المتواصل. والكنايتان في الحقيقة متلاقيتان في تفسير إحداهما الأخرى لإفادة التأكيد والمبالغة. ويلاحظ الانحراف التركيبي من حيث الذبذبة التصويرية في قوله: "كأنها فوارة أو مزنة هطلاء"، حيث انطلق الشاعر من التدني إلى الترقي في عقد المشابهة بشيئين غير مستويين هيئة وقوة، فشتان ما بين الفوارة والمزنة الهطلاء، وقد برّر موقف الشاعر في هذا الانحياز التصويري حرفُ "أو"، الموحي بالاضطراب النفسي الذي يداخل الشاعر في تلك الحالة. وهذا التصوير جملة ينبع من دلالة كلية مركزية تتحد مع علاقات شعور الشاعر لتطويع إحساس المتلقي تحقيقا للوحدة الانفعالية التي تقود إلى الفهم الأعمق للقصيدة.

التعبير: حدا بالشاعر الاختيارُ اللطيفُ على أن يستوحي في جانب النسق التعبيري ألفاظا تتجاوب مع الموضوع في الرقة والليونة وتناسب الطبيعة الأنثوية، فجاءت في أغلب صورها سهلة لينة مألوفة، دون أن تكلّف القارئ مؤونة البحث في بطون المعجمات اللغوية قبل فهمها، إضافة إلى استمداد هذه الألفاظ جدتها وجمالها من حيث دلالتها على التجربة الشعرية، مسايرة الأفكار والمشاعر التي تخامر الشاعر معبّرة عنها بأدق التعبير، نلمس ذلك في كلمات: "عظم، المصاب، بكاء، حار، الدموع، فوارة، عزّ، عزاء، جزع، رزء...."، وكلها ثرية في حد ذاتها تعكس صورة واضحة عن الفجيعة وتنقل إلى القارئ شعور صاحب التجربة المشحون، ويُسجَّل للشاعر - بناء على هذا- نجاحٌ في دقة اختيار الكلمة، فـ"عظم" مثلا تختلف عن "اشتد"، وراعى "المصاب" بدلا من "المصيبة"، و"جزع" تباين حزن"؛فهذه الكلمات المختارة أوقع متانة وأوسع دلالة من أشباهها. وكما تجدر الإشارة إلى قوله: "حار الفؤاد فليس يبصر مسلكا..."، فحيران الفؤاد مجلب الحيران لجميع الأعضاء، لكونه مصدرا أساسيا يستمد منه الجسم قوته وحيوته. وانطلاقا من هذه الرؤية يمكن القول إن معجم الشاعر في هذه المرثية محفوظ كلاسيكي مجدّد، ويسير حقله الدلالي إلى الجد.

أما التركيب، فأوّل ما يستوقفنا منه هو عنصر النظم البديع في قوله:

عظم المصاب فعزّ فيه عزاء # ونما البكاء ولا يفيد بكاء

لقد تحرى الشاعر الفنية في رصد هذا التركيب وجعل المرثية تهيب بعاطفة طامحة، حيث استخدامه الجمل الفعلية الدالة على استمرار آلام هذه الكارثة في صورة ماضية منقطعة جارية الفعل، لا يمكن الخلاص منها، فعرّف "المصاب" دلالة على التعميم، وفصّل بين الفاعل الذي والاه وبين فعله بظرف متعلق بـ"المصاب" لقصر الكلام عليه، وكأن الشاعر يوحي بأن التعزية لا تشتد عليه في أية مصيبة غير وفاة "حواء"، ونكّر لفظ "عزاء" للتنوّع والتعظيم؛ لأن العزاء مع كثرة أنواعه عزيز عليهم، وكما عرّف البكاء في المرّة الأولى لإفادة الجنس والتعميم، ونكّره في الأخيرة دلالة على كثرته وتنوّعه حينما انفجر من كل حدب وصوب، جاد به ذكورٌ وإناثٌ، كبارٌ وصغارٌ دون أن تكون طائلة تحته، أو يجدوا إلى العزاء سبيلا. فهذا التركيب رائق متسع لحمل المعاني وأدائها في شكل شيق منمّق.

وفي قوله:

لا رزء أعظم عندنا من فقدها # قد أزعجت من موتها الصلحاء

... قدّم "لا" النافية، ثم عبّر بصيغة التفضيل "أعظم" مبالغة في الخبر، وتضخيما للكارثة، وقدّم شبه الجملة (الظرفية): "عندنا" على "من فَقْدها" لحصر الرزء وعظمة فقد المرحومة عليهم، فأتى عجز البيت ردفا مؤكدا لصدره في تضمين معنى البلية العظيمة التي أزعجت الصلحاء، فحسن استخدام "قد" لإفادة تحقق الأمر ورد شك شاك أو تردّد متردّد.

ثم ألقى الشاعر المسند مقدّماً على المسند إليه في قوله:

ميمونةٌ أخلاقُها مرضيةٌ # أفعالُها شهدت بها النبلاء

لإثبات هذه الأوصاف للمرحومة، وأنها ثابتة لها وقوية فيها، ويؤكّد ثبوت هذا المعنى جملة من التعجب والصيغ المبالغة المتكررة دلالة على فضل الفقيدة وعلوّ منزلتها ومكانتها في المجتمع حيث قال:

أحسن بها صوّامة قوّامة # ومتينة في دينها شماء

زهّادة ورّاعة درّاسة الـ # قرآن قد شهدت بذي الآناء

وتشير الجملة الاسمية بداية من (18-21)، إلى شدة رغبة الشاعر في استجابة الدعاء وثبوته

للمرحومة، متوكّلا على الله عزّ وجلّ بترديد اسم الجلالة تعبيرا عن التأليه والتعظيم، وأنه هو المولى القدير على تحقق المراد، فهو مجيب الدعاء:

فالله يرحمها ويشكر سعيها # ويعمها منه الرضى وحباء

فالله يرحمها ويوسع قبرها # بمحمد ويعم فيه ضياء

فالله يملأ بالنعيم ضريحها # ويزورها السعداء والشهداء

فالله يؤنسها ويُذهِب خوفها # وتكون حيث تبوأ الأمناء[157].

الأسلوب: يلاحظ أن الطابع الغالب في القصيدة هو الأسلوب الخبري، فقد حقّق هذا الأسلوب هدفاً كبيراً في تحوّل جلّ الأبيات إلى لوحات فنية تصرّف فيها الشاعر لبثّ الإيحاءات والأريحية التي تنشط الوجدان والشعور، وتؤثر في النفوس غاية التأثير، حيث خرجت هذه الأبيات عن مجرد الأخبار إلى أغراض فنية جليلة تفهم في ثنايا النص، دلالة على إحساس الشاعر والجوّ النفسي المخيّم عليه.

وتجدر الإشارة إلى نكتة من الصيغ الإنشائية في قول الشاعر كما ورد في أبيات (18-21)المذكورة أعلاه؛ لأن الجملة: "فالله يرحمها..."مع احتمالها كلا الوجهين (خبراً وإنشاءً) من حيث النمط الشكلي، تتجه في سياقها الدلالي إلى الدعاء، فالدعاء هنا أقوى من الإخبار، انطلاقا من عاطفة الشاعر وعقيدته. وكما أن تكرار اسم الجلالة لا يستساغ بأن تكون الجملة خبرية، وإلا، لأخل ذلك بجمال الأسلوب، فلذلك أحسن الشاعر النقلة في إلقاء الأسلوب الإنشائي الصريح بقوله:

يا ربّ ألحقها بخير الأنبياء # وبمن هم من بينهم رحماء

واغفر لها يا ربّ وارحمها وكن # متفضلا يا من له الآلاء

كن خير كاف نسلها واحفظهم # من كل شرّ ما بدا الإمساء[158]

أما في الهيكل البنائي فقد دخل الشاعر ميدان هذه المرثية بمطلع معبّر عن الغرض وعن لفحة الفجيعة وشدة القرحة التي يتوقع أن يحسّها الإنسان المتفجّع بقوله:

عظم المصابُ فعزّ فيه عزاء # ونما البكاء ولا يفيد البكاء

ذلك مطلع رائع بعيد عن تكلف البكاء على الأطلال، وما شاكل ذلك في الشعر القديم. وساند

[157]- الوزير جنيد، ديوانه، المصدر السابق، ص89.

[158]- الوزير جنيد، ديوانه، المصدر السابق، ص89.

الشاعر التوفيقُ كذلك في حسن التخلّص المركّز على لبّ الموضوع في دقة متناهية وحرارة فائقة دون خروج عنه، فأدّى المقطع دوره الإيجابي في إصابة الغرض حينما دعا الشاعر للفقيدة بالرحمة والرضا والأمن والغفران، داعياً لنسلها بالكفاية والوقاية من كلّ شرّ... ثم ختم المرثية بالصلاة والتسليم على النبي وآله وصحبه والتابعين على ضوء منهج الشعراء الأفارقة الإسلاميين، وذلك بقوله:

ثم الصلاة على النبي وآله # ما أنشدت أشعارها الشعراء

يتلو السلام عليه مع أصحابه # والتابعين متى استجيب الدعاء

أما من حيث الوحدة الموضوعية والعضوية فالشاعر لا يخرج من المرثية قط، فقد أعطاها حقها من المطلع إلى المقطع، إلا أنّ عناصر القصيدة لم تتلاحم تلاحما يشيد التناسق التام بينها. يمكن مثلا، تقديم البيت الثامن على السابع، والعاشر على التاسع، كما يمكن نقل البيتين: الخامس عشر والسادس عشر إلى موضعي التاسع والعاشر دون أن يؤثر ذلك التقديم والتأخير في المعنى. ومن ثم يمكن القول بأن القصيدة غير متحدة عضويّاً، ولكن ذلك لا يحطّ من قيمتها ما دامت نظرية الوحدة العضوية غير واجبة على الشعر الغنائي نظرا للضغط المترتّب بسببها على الشاعر في معالجة الغرض، أو إخضاعه لقيد خارجي يقضي على مشاعره الشعرية.

الموسيقى: استوحت هذه القصيدة نشوتها الموسيقية الخارجية أساسا على النسق التقليدي لوحدة وزنها ووحدة القافية. فالوزن بحر الكامل المقطوع الضرب، تأتي أجزاؤه على تفعيلة:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن # متفاعلن متفاعلن متفاعلْ

والمؤكّد أن هذا البحر مناسب لأداء هذا الغرض باعتباره أحد البحور الطويلة المتمكّنة من حمل النَّفَس الطويل، وكما كان لقافية هذه القصيدة الهمزية المسبوقة بحر المدّ (الألف) دورها الجوهري في إطالة الصوت، مساعدة إياه على الصعود إلى الأعلى، بناء على ما تحدثه حركة الهمزة (الضمة) من الرنين الأشبه بالعويل الشديد[159].

أما الموسيقى الداخلية فنلمسها من حيث التنوعات الإيقاعية المعتمدة على خاصية التوقيع الصوتي وترديده المتكرّر خلال بعض الصور البديعية الواردة، نضرب لذلك مثلا، الجناس في قوله:

[159]- مرتضى بن عبدالسلام الحقيقي، من مراثي الوزير جنيد، دراسة أدبية تحليلية، بحث مقدم إلى كلية اللغة العربية والدراسات الأدبية في الجامعة الإسلامية بالنيجر، لنيل درجة الإجاوة العالية (الميتريز)، عام2003م، ص65.

"فعزّ فيه عزاء"، والترديد الإيقاعي على ضوء رد العجز على الصدر والعكس والتبديل في قوله: "ونما البكاء ولا يفيد بكاء"، "يكفي القليل وفي القليل كفاء". علاوة على ما تميزت به القصيدة من التصريع المثري التنظيم النغمي الناشئ في البيت السادس إلى الثامن:

ميمونةٌ أخلاقُها مرضيةٌ # أفعالُها شهدت به النبلاء

أحسن بها صوّامة قوّامة # ومتينة في دينها شماء

زهّادة ورّاعة درّاسة الـ # قرآن قد شهدت بذي الأناء

فالطباق الملاحظ في الحادي عشر: (القرباء والبعداء)، إضافة إلى ما تحدثه صيغ المبالغة - الكثيرة الورود في النص - من نغمة وإيقاع، وكذلك صور من التعجب والحال والتوكيد والتكرار والتماثل الصوتي الملاحظ في الشينات الثلاثة الواردة في عجز البيت قبل الأخير:

ثم الصلاة على النبي وآله # ما أنشدت أشعارها الشعراء[160]

وكل هذه الأنماط البديعية لها مزيتها في تحقيق الهدف الموسيقي السامي وراء دلالة الأجراس الصوتية للقصيدة، تأسيسا على البنيتين: "التركيبية والتخييلية"، فتتم بها القصيدة في النهاية وحدة كلية دالة على تجربة الشاعر.

الخاتمة:

ذلك هو عرض وصفي سريع لمرثية الوزير جنيد بن محمد البخاري، كان الهدف منه اختبار مدى نجاحه في رثاء المرأة الذي يعدّ من أصعب الموضوعات الشعرية منذ الزمن القديم. فقد حاول الباحثان أن يتذوّقا القصيدة من منطلقات فنية تُسعِف على فهمها دراسة ونقدا، فتمّ خلال ذلك استعراض القيم الفكرية والفنية وإبداء الملاحظات على جوانب تشعر بأن الوزير شاعر مجيد، لكنه يخطئ ويصيب فالكمال المطلق لله وحده. وعلى هذا الأساس، يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي:

- امتازت المرثية بقيم فكرية عالمية النزعة.
- قويت براعتها الفنية من حيث المطلع والتخلص والمقطع.
- تمتعت بالوحدة الموضوعية ودقة الأسلوب.
- ابتعدت عن التصنع والمحسنات البديعية إلا ما جاء عفوا.
- لعب فيها الأسلوب الخبري دوره في استمالة المتلقي.
- كثرت فيها صيغ المبالغة لتقوية المعاني.

[160]- الوزير جنيد بن محمد البخاري، ديوانه، المصدر السابق، ص89.

- غلب عليها الاتجاه الكلاسيكي في الصورة العامة.
- خلت عن عنصر العزاء لاضطراب نفسي حائل.
- حفلت بأجراس إيقاعية تتناغم مع جو الموضوع.
- ساد جو الدعاء في المقطع مع الصلاة على النبي المختار.

المصادر والمراجع:

- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار المعارف، بيروت، د.ط،ت.
- جنيد بن محمد البخاري (الوزير): روائح الأزهار من روض الجنان، (ديوان شعر)، نسخة مصورة مخطوطة بمكتبة الدكتور مرتضى بن عبد السلام الحقيقي الخاصة.
- جنيد بن محمد البخاري(الوزير): عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان، مخطوط بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو- نيجيريا، تحقيق شيخ عبيد الله قورا غودا.
- سمبو ولي جنيد(البروفيسور): الوزير جنيد حياته وآثاره،مخطوط بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا.
- طه حسين (الدكتور) وآخرون، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، د.ط، 1950م.
- عبدالباقي شعيب أغاكا (الدكتور): المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور ثمبو ولي جنيد، مجلة النهضة، العدد الثاني1999م، مركز الدراسات الإسلامية، بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا.
-محمد المبارك محمد التكينة: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير جنيد، رسالة أكاديمية لنيل درجة الماجستير في جامعة أحمد بلو، زاريا، نيجيريا، عام1980-1981.
- مرتضى بن عبدالسلام الحقيقي:من مراثي الوزير جنيد، دراسة أدبية تحليلية، بحث مقدم إلى كلية اللغة العربية والدراسات الأدبية في الجامعة الإسلامية بالنيجر، لنيل درجة الإجاوة العالية (الميتريز)، عام2003م.

الهند بين الماضي والحال

أطهر رضا
atharraza13999@gmail.com

أرض تنـــازع فيها كم من الأمـــم ... خلد هي الهـند لا تـخفى عـلى الأمـم
كم من نفوس بذلناها لنخرجـــها ... من برثن الجور والإفـــلاس والألـــم
لما استبد علينا البيض واجتـــرؤا ... صبت عليـــهم سهام البطش والنقـم
أبناؤها كأسود الحـــرب مـــختلط ... بغيظهم غضب الآســـاد في الأجـــم
إذا سئلت العدى عن بأسنا خرجت ... أرواحهم أو تكاد المـوت من خـــرم
سل الورى والرجال عن بطـــولتنا ... كم أحدثت عجـــبا بالسيف والقلـم
سل الجبال عن الأبطال كيف هم ... قد كسروا هامـــها بالحزم والهمـــم
ينبيك عنا وعن أمجـــادنا كتـب ... ورفعة العلـم والآداب والقلـــــم
إذا رأيت بناء التاج عـــــدت إلى ... مجد بناها رجال العزم والـــذمـــم
كم من جداول أديان ومن لـــغة ... شتى قد اتصـلت بها من القِـــــدم
هي السماء فكم فيها من الشهـب ... هي المحيط إليـها ورد كل فـــــم
وإنها الحصن قد شيدت جوانـيها ... بقدرة الله من طـود ومن قمـــــم
أجواؤها غمرتها الأمن فامتلـئت ... أنحاؤها بمعان الحـسن والقيـــم
أبطالنا صرفوا الجهود للـــوطن ... ولانكسار قيود الذل والألـــــــم
حرية هي حق الكل منذ أتـــى ال ... إنسان أعطى الحقوق خالق النـسم
لولا الحماة لهذا الحق ما ظهـرت ... يوما حقيقة هذا الحق كالعلـــــم
لولا الأباة لحكم الغير ما خرجـت ... أقوامنا من صنوف الظلـم والألـــم
"طير من الذهب" قالوها بلاجـدل ... أعظم بها حصلت من فخرا من الأمـم
لكنه أسفا قصت قوادمـــــها ... فاليوم تبكي لها حزنا مـن الألـــــم
أحوالـــها انقلبت أعضاؤها ضعفت ... فانظر إليها فها تدنو من الـــــهرم
فيابني الهـــند إن شئتم تقدمـــها ... دعوا الفساد فإن العـز في الســـلـم